

مطبوعات المجمع

آثار الإمام ابن قيم الجوزية وما لحقها من أعمال

(١٤)

التبيان في أيمان القرآن

تأليف

الإمام أبي عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب ابن قيم الجوزية

(٦٩١ - ٧٥١)

تحقيق

عبد الله بن سالم البطاطي

إشراف

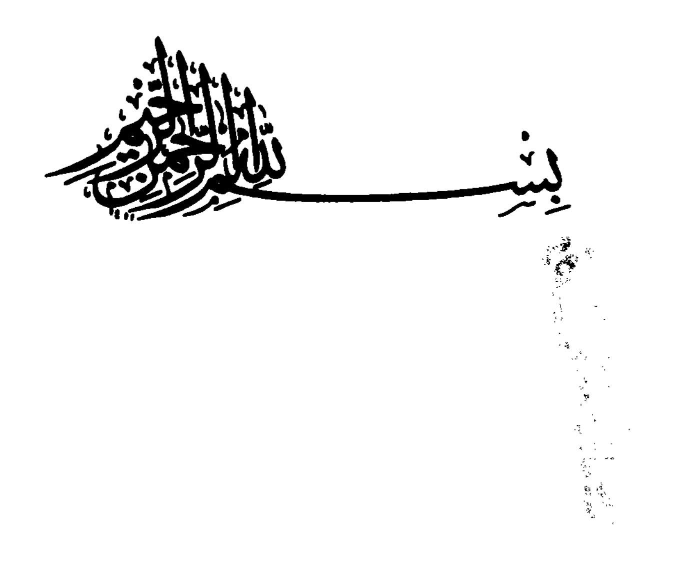
بكر بن عبد الله أبو زيد

تمويل

مؤسسة سليمان بن عبد العزيز الراجحي الخيرية

دار عالم الفوائد

للنشر والتوزيع



راجع هذا الجزء

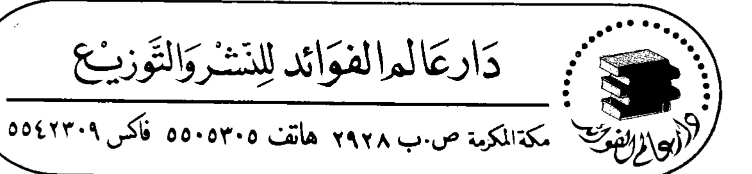
مُحَمَّد أَجْمَل الإصْلاحي

عبد الرحمن بن معاضة الشهري



مؤسسة سليمان بن عبدالعزيز الراجحي الخيرية
SULAIMAN BIN ABDUL AZIZ AL RAJHI CHARITABLE FOUNDATION

الطبعة الاولى ١٤٢٩هـ



الصف والإخراج دار عالم الفوائد للنشر والتوزيع

مقدمة التحقيق

الحمد لله الذي أنزل الفرقان، وجعل فيه التبيان، وضمَّنَه الأقسامَ والأيمان، نحمده على جزيل الإحسان، وعظيم الامتنان، وهو المستحقُّ لكلِّ حمدٍ في كل آن. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أنَّ محمدًا عبده ورسوله، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليمًا كثيرًا.

أما بعد:

فهذا كتابٌ عظيمُ النَّفْع، طيِّبُ الوَقْع، سال فيه قلم ابن القيم ـ رحمه الله ـ بالفوائد المحرَّرة، والفرائد المبتكرة، حتَّىٰ فاض واديه فبلغَ الروابي، وملأ الخوابي، قصدَ فيه جمعَ ما ورد في القرآن الكريم من الأيمان الربَّانية وما يتبعها من أجوبتها وغاياتها وأسرارها، فبَرَعَ وتفنَّن، ثُمَّ قعَّد وقَنَّن، ولا غَرْوَ في ذلك فإنَّه «شمس الدِّين».

وقد اعتنىٰ أهل العلم بالأيمان والأقسام من قديم، فأفردوها بالتصنيف على قلَّةٍ في ذلك، إلا أنَّ أغراضهم ومقاصدهم تنوَّعت من تآليفهم؛ فمن ذلك:

أنَّ جماعةً من علماء العربية صنَّفوا فيما ورد عن العرب من الأيمان والأقسام، كما فعل أبو العباس أحمد بن يحيى المعروف بثعلب (٢٩١هـ) فصنَّف «كتاب الأيمان»[١]، وكذلك صنَعَ: عَسل بن ذكْوَان العسكري النحوي ـ في طبقة المبرِّد ـ كتابَ «أقسام العربية»[٢]، وجمَعَ

---

(١) انظر: «إنباه الرواة» (١/ ١٥١).

(٢) انظر: «معجم الأدباء» (١٢/ ١٦٩)، و«إنباه الرواة» (٢/ ٣٨٣).

أبو إسحاق النَّجِيرَمي (٤٢٣هـ) في كتابٍ لطيفٍ «أيمان العرب»[١].

ورامَ جماعةٌ من الأئمة جمع ما ورد في الأيمان من الرواية والدراية كما فعل الإمام أبو عبيد القاسم بن سلَّام (٢٢٣هـ) في كتابه «الأيمان والنذور»[٢].

وألَّف الحافظ عبد الغني بن عبد الواحد بن سرور المقدسي (٦٠٠هـ) جزءًا سمَّاه: «الأقسام التي أقسم بها النبيُّ ﷺ»[٣].

وأفردَ الإمام أبو الحسين محمد بن القاضي أبي يعلىٰ (٥٢٦هـ) جزءًا لطيفًا في المسائل التي حَلَف عليها الإمام أحمد[٤].

و«أقسام القرآن» من ذيَّاك القبيل، وقد عدَّه السيوطي في «الإتقان» (٢/ ١٠٤٨) نوعًا من أنواع علوم القرآن، وتبعه طاش كبري زاده في «مفتاح السعادة» (٢/ ٥٤٠) حيث جعله فرعًا من فروع التفسير[٥]، فعِلْمٌ هذا شأنه لا يستغرب بعد ذلك أن يحتفي به العلماء ويخصُّوه بعناية زائدة ويفردوه بمصنفاتٍ خاصَّة.

وهذا الكتاب المبارك بدأته بمقدِّمة دراسية تتعلق بالكتاب وموضوعه، وجعلتها على قسمين:

---

(١) طبع في المطبعة السلفية بمصر، سنة ١٣٤٣هـ.

(٢) انظر: «إنباه الرواة» (٣/ ٢٢).

(٣) انظر: «السير» (٢١/ ٤٤٧).

(٤) طبع بدار العاصمة ـ الرياض، سنة ١٤٠٧هـ، بتحقيق: محمود بن محمد الحداد.

(٥) وانظر: «كشف الظنون» (١/ ١٣٧)، و«أبجد العلوم» (٢/ ١٢٣).

القسم الأوَّل: فصولٌ في القَسَم، وذكرتُ فيه:

- منزلة القَسَم عند العرب.
- الأقسام في القرآن.
- أشتاتٌ من الفوائد.
- المصنَّفات في أقسام القرآن.

والقسم الثاني: التعريف بالكتاب، وذكرتُ فيه:

- عنوان الكتاب.
- نسبة الكتاب إلى مؤلِّفه.
- تأريخ تأليف الكتاب.
- موضوع الكتاب.
- منهج المؤلِّف في الكتاب.
- موارد المؤلِّف في الكتاب.
- أهمية الكتاب وأثره فيمن بعده.
- طبعات الكتاب.
- نسخ الكتاب.
- عملي في التحقيق.

والله أسأل أن ينفع بهذا العمل، وأن يقينا فيه الزَّلل والخطَل، ويديم علينا نعمته، ويسبغ علينا عافيته؛ إنَّه جوادٌ كريم، مجيبٌ قدير، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

القسم الأوَّل: فصول في القَسَم

- منزلة القَسَم عند العرب
- الأقسام في القرآن
- أشتاتٌ من الفوائد
- المصنَّفات في أقسام القرآن



منزلة القَسَم عند العرب:

للعرب طريقتهم في الكلام، وأسلوبهم في التخاطب، وقواعدهم في الحديث، أرشدتهم إليها فطرتهم القويمة، وطبيعتهم المستقيمة، فجرىٰ بها لسانهم عفوًا من غير اعتمال، وسليقةً من دون افتعال.

وقد كان العرب أهل صدق وذمَّة، يتنزَّهون عن الكذب أيًّا ما كان الخبر، ويَعَافُون حكايته، ويستقبحون فعلته، ويعيِّرون فاعله ذمًّا وشنَاءةً، فالكذب عندهم عار اللسان كما أنَّ الزِّنا عار العِرْض.

لأجل ذلك كانوا يَصْدُقُون على الدوام، فيكون سامعهم على ثقةٍ من كلامهم، فإذا تردَّد السامع في صدق خبرهم أو شكَّ في ثبوته أكَّدوه له بما يناسب المقام من المؤكِّدات اللفظية وغيرها، حتىٰ يستروح إلى أمانتهم في الحكاية، وصدقهم في القيل.

«والقَسَم» نوعٌ من أنواع التوكيد عند العرب، بل هو أجلُّها وأعظمها؛ لأنَّه غاية ما يبذله المتكلِّم من الجَهْد لتقوية كلامه وتثبيته في نفس سامعه، وليس في المؤكِّدات ما يوازيه أو يقوم مقامه فهو أقواها على الإطلاق، ولهذا كثرت ألفاظهم وتنوَّعت عباراتهم في أداء القَسَم؛ شأنهم في كل الأمور الجليلة والخطيرة، فمن ذلك قولهم: «لا وفالق الإصباح، وباعث الأرواح»، «لا والذي شقَّ الجبال للسيل، والرجال للخيل»، «لا والذي نادىٰ الحجيج له»، وغير ذلك من ألفاظ القَسَم[1].

زد على ذلك تعظيم القَسَم في نفوسهم فقد كان لهم فيه اعتقاد،

(١) انظر: «الأمالي» للقالي (٣/ ٥١)، و«أيمان العرب» للنَّجيرَمي (١٩)، و«المخصَّص» لابن سيده (١٣/ ١١٨)، و«المزهر» للسيوطي (٢/ ٢٦١).

حيث كانوا يعتقدون أنَّ اليمين الكاذبة تدع الديار بلاقع، ولا تترك شيخًا ولا يافع، الأمر الذي جعلهم يتحفَّظون في أيمانهم، ولا يطرحونها إلا في مواطن الجِدِّ والحزم والصرامة.

وقد نزل القرآن بلغة العرب وعلى أسلوب كلامهم، ومناحي خطابهم، فجاء في أسلوب بيانه من القَسَم ما كان معهودًا عندهم، وخُصَّ بالأمور الجليلة العظمىٰ، وقضايا الإيمان الكبرىٰ.

فإن قيل: إنَّ المتكلِّم إنَّما يحلف ويُقْسِم لحاجته إلى القَسَم واليمين في تأكيد أمرٍ أو تثبيت خبرٍ عند سامعه، أمَّا الله ـ جلَّ جلاله ـ فإنَّه غير محتاجٍ إلى ذلك؛ لأنَّه ـ سبحانه ـ أحسن حديثًا وأصدق قيلاً.

هذا من جهة المتكلِّم بالقَسَم؛ أمَّا المُلْقَىٰ إليه القَسَم فإنَّه إمَّا أن يكون مؤمنًا؛ فهذا يحمله إيمانه على التصديق بكلام الله ـ عزَّ وجلَّ ـ فلا يتوقَّف إيمانه على اليمين لأنَّه قد سلَّم وأيقنَ بما في القرآن. وإمَّا أن يكون كافرًا؛ فهذا لم ينتفع بالحجج والبراهين فكيف ينتفع بالقَسَم واليمين! فآلَ الأمرُ إلى عدم الحاجة إلى الأيمان، ومالا حاجة إليه لا فائدة من وروده![1]

والجواب من خمسة أوجه:

الأوَّل: ما سبق تقريره من أنَّ هذا جارٍ على سَنَن لغة العرب ومألوف لسانها، فليس في وروده في القرآن إغرابٌ في اللغة ولا بمدخولٍ عليها

(١) وثَمَّ إشكال آخر يورده بُلَداء المستشرقين، انظره وجوابه في: «مناهل العرفان» للزرقاني (١/ ٢٢٢)، و «المدخل لدراسة القرآن الكريم» لمحمد أبو شهبة (٢٤٥ ـ ٢٤٧)، و«القَسَم في القرآن الكريم» لحسين نصّار (٤٩).

ما لا يعرفه أهلها، بل هو ممَّا اعتادوه في مجريات كلامهم بغضِّ النظر عمَّن أُلقي إليه القَسَم.

الثاني: أنَّ وجود القَسَم في القرآن من أبلغ الحجج وأوضحها على صدق النبيِّ ﷺ وصحة رسالته، إذ لو كان كاذبًا في هذه الأيمان لأصابه خراب الديار، وانقلاب الحال، وسوء المآل؛ على ما كانوا يعتقدونه في الأيمان الكاذبة، أمَا والأمرُ بعكس ذلك فإنَّ يمينه برَّةٌ، وكلامه صدقٌ، ورسالته حقٌّ.

الثالث: أنَّنا لا نسلِّم بانتفاء فائدته، بل الفائدة حاصلة حتمًا، وذلك أنَّ النَّاس ثلاثة أصناف: مؤمن، ومرتاب، وجاحد.

فأمَّا المؤمن فإنَّ توكيد الكلام بالقَسَم يزيده طمأنينةً واستيقانًا، وينزل الكلام من نفسه المنزل الأسنىٰ.

وأمَّا المرتاب فإنَّ القَسَم يزيل ريبته، ويطرح الشكَّ الذي في نفسه، فلا يبقىٰ عنده تردُّدٌ في ثبوت الخبر أو عدمه.

وأمَّا الجاحد فإنَّ القَسَم زيادةٌ في تحقيق البيِّنَة وإقامة الحجة عليه، فلا حُجَّة له بَعْدُ أن يقول: إنَّ ما سمعتُه كان خبرًا من جملة ما نسمعه من الأخبار التي تطرق مسامعنا على الدوام، ولم يؤكَّد لي هذا الخبر أو ذاك بيمينٍ أو قَسَمٍ أحترمُه وأعظِّمُه. فورود القَسَم دفعٌ لهذه الحُجَّة الداحضة.

الرابع: أنَّ ما ذُكر في الإشكال إنَّما يستقيم إذا حصرنا فائدة القَسَم فيما قالوه فقط؛ والأمر ليس كذلك، إذ قد يرد القَسَم ويراد به تعظيم المقسَم به أو المقسَم عليه لا غير كما ذهب إليه بعض أهل العلم منهم

ابن القيم رحمه الله.

الخامس: ما ذكره أبو القاسم القشيري ـ رحمه الله ـ حيث قال: «إنَّ الله ذكر القَسَم في القرآن لكمال الحجة وتأكيدها، وذلك أنَّ الحُكْمَ يُفْصَل باثنين: إمَّا بالشهادة، وإمَّا بالقَسَم. فذكر الله ـ تعالىٰ ـ في كتابه النوعين حتىٰ لا يبقىٰ لهم حُجَّة، فقال: ﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلْعِلْمِ ﴾ [آل عمران/ ١٨]، وقال: ﴿ قُلْ إِي وَرَبِّيٓ إِنَّهُۥ لَحَقٌّ ﴾ [يونس/ ٥٣]»[1].

* * *

(١) نقله عنه الزركشي في «البرهان» (٣/ ١٢٢)، والسيوطي في «الإتقان» (٢/ ١٠٤٨)، وفي «معترك الأقران» (١/ ٤٥٠)، وطاش كبري زاده في «مفتاح السعادة» (٢/ ٥٤٠).

الأقسام في القرآن:

جاءت الأقسام في القرآن الكريم على ضربين:

الضرب الأوَّل: الأقسام الصادرة من الخلق وذكرها الله ـ عزَّ وجلَّ ـ عنهم، كقوله تعالىٰ عن إبراهيم عليه السلام: ﴿وَتَٱللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَٰمَكُم بَعْدَ أَن تُوَلُّوا۟ مُدْبِرِينَ ﴿٥٧﴾﴾ [الأنبياء/ ٥٧]، وكقوله تعالىٰ عن المشركين: ﴿وَٱللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ ﴿٢٣﴾﴾ [الأنعام/ ٢٣]، وقوله: ﴿وَأَقْسَمُوا۟ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ لَئِن جَآءَهُمْ نَذِيرٌ لَّيَكُونُنَّ أَهْدَىٰ مِنْ إِحْدَى ٱلْأُمَمِ﴾ [فاطر/ ٤٢]، وغير ذلك كثير.

الضرب الثاني: ما أقسم الله ـ عزَّ وجلَّ ـ به، وهذا على نوعين:

الأوَّل: القَسَم المُضْمَر؛ وهو القَسم المحذوف منه فعل القَسَم والمقسَم به، لكن يدل عليه أحد أمرين:

١/ إمَّا جوابه المقرون باللام، كقوله تعالىٰ: ﴿۞ لَتُبْلَوُنَّ فِىٓ أَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَمِنَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوٓا۟ أَذًى كَثِيرًا﴾ [آل عمران/ ١٨٦]، تقديره: واللَّهِ لتبلونَّ ولتسمعنَّ.

٢/ وإمَّا المعنىٰ والسياق، كقوله تعالىٰ: ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا﴾ [مريم/ ٧١]، أي: والله ما من كافرٍ إلا واردٌ النَّار، بدلالة المعنىٰ والسياق الذي جاءت فيه هذه الآية فإنها جاءت بعد آياتٍ مؤكَّداتٍ بالقَسَم الملفوظ وهو قوله سبحانه: ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ وَٱلشَّيَٰطِينَ. . .﴾ [مريم/ ٦٨ ـ ٧٠].

الثاني: القَسَم الظاهر الملفوظ، وهذا على ثلاثة أضرب:

أوّلاً: إقسامُه ـ سبحانه ـ بذاته القدسيَّة، وورد ذلك في عشر آياتٍ مباركاتٍ[1]، منها آيتان مدنيتان، والثماني الباقيات مكيَّةٌ، وهي:

١ ـ ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ﴾ [النساء/ ٦٥].

٢ ـ ﴿ ۞ وَيَسْتَنْبِـُٔونَكَ أَحَقٌّ هُوَ ۖ قُلْ إِي وَرَبِّيٓ إِنَّهُۥ لَحَقٌّ ۖ ﴾ [يونس/ ٥٣].

٣ ـ ﴿ فَوَرَبِّكَ لَنَسْـَٔلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩٢﴾ ﴾ [الحجر/ ٩٢].

٤ ـ ﴿ تَٱللَّهِ لَتُسْـَٔلُنَّ عَمَّا كُنتُمْ تَفْتَرُونَ ﴿٥٦﴾ ﴾ [النحل/ ٥٦].

٥ ـ ﴿ تَٱللَّهِ لَقَدْ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰٓ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ ﴾ [النحل/ ٦٣].

٦ ـ ﴿ فَوَرَبِّكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ وَٱلشَّيَٰطِينَ ﴾ [مريم/ ٦٨].

٧ ـ ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَا تَأْتِينَا ٱلسَّاعَةُ ۖ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتَأْتِيَنَّكُمْ ﴾ [سبأ/ ٣].

٨ ـ ﴿ فَوَرَبِّ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ إِنَّهُۥ لَحَقٌّ مِّثْلَ مَآ أَنَّكُمْ تَنطِقُونَ ﴾ [الذاريات/ ٢٣].

٩ ـ ﴿ زَعَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَن لَّن يُبْعَثُواْ ۚ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ﴾ [التغابن/ ٧].

١٠ ـ ﴿ فَلَآ أُقْسِمُ بِرَبِّ ٱلْمَشَٰرِقِ وَٱلْمَغَٰرِبِ إِنَّا لَقَٰدِرُونَ ﴿٤٠﴾ ﴾ [المعارج/ ٤٠].

---

(١) ذكر الزركشي في «البرهان» (٣/ ١٢١) سبعَ آياتٍ فقط، وعنه تناقلها من جاء بعده، وتتبعها الدكتور: يوسف خليف فأوصلها إلى عشر آياتٍ في كتابه «دراسات في القرآن والحديث» (٩٦)، ووافقه الأستاذ: حسين نصَّار في «القسم في القرآن الكريم» (٤٧)، لكن الدكتور: سامي عطا حسن تعقَّبَ بعضها في بحثه «أسلوب القسم الظاهر في القرآن الكريم» (٤٥).

ثانيًا: إقسامه ـ سبحانه ـ بأفعاله وصفاته العليَّة، كقوله تعالىٰ: ﴿وَٱلسَّمَآءِ وَمَا بَنَىٰهَا ۝ وَٱلْأَرْضِ وَمَا طَحَىٰهَا ۝ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ۝﴾ [الشمس/ ٥ ـ ٧] على اعتبار «ما» مصدريَّة، أي: والسماء وبنائها.

ثالثًا: إقسامُه ـ سبحانه ـ بمخلوقاته، وهو ـ سبحانه ـ لا يقسم إلا بالأشياء العظيمة الدالَّة على قدرته وكمال صُنعه، أو بالأشياء المباركة في نفعها أو فضلها.

قال ابن القيم رحمه الله: «وإنما يُقْسِم ـ سبحانه ـ من كل جنْسٍ بأعلاه، كما أنَّه لمَّا أقسَمَ بالنُّفُوس أقسَمَ بأعلاها؛ وهي: النَّفْس الإنسانيَّة.

ولمَّا أقسَمَ بكلامه أقسَمَ بأشرفه وأجلِّه؛ وهو: القرآن.

ولمَّا أقسَمَ بالعُلْويَّات أقسَمَ بأشرفها؛ وهي: السماء، وشمسها، وقمرها، ونجومها.

ولمَّا أقسَمَ بالزَّمان أقسَمَ بأشرفه؛ وهو: الليالي العَشْر.

وإذا أراد ـ سبحانه ـ أن يُقْسِمَ بغير ذلك أدرجه في العموم كقوله عزَّ وجلَّ: ﴿فَلَآ أُقْسِمُ بِمَا تُبْصِرُونَ ۝ وَمَا لَا تُبْصِرُونَ ۝﴾ [الحاقة/ ٣٨ ـ ٣٩]، وقوله: ﴿ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰٓ ۝﴾ [الليل/ ٣] في قراءة رسول الله ﷺ، ونحو ذلك»[(١)].

وقد نُقل عن الضحَّاك إنكاره لهذا النوع من القَسَم فقال: «إنَّ الله لا يقسم بشيءٍ من خلقه، ولكنه استفتاح يستفتح به كلامه»[(٢)]!

---

(١) «التبيان» (١٨٨ ـ ١٨٩).

(٢) نقله عنه الماوردي في «النكت والعيون» (٥/ ٤٦٢)، وابن كثير في «تفسيره» =

وهذا لا يثبت عنه؛ لأنَّه من رواية جويبر عنه، وجويبر متروك.

ثُمَّ لو صح لكان مطَّرَحًا لمخالفته صريح القرآن، قال ابن كثير: «وهذا القول ضعيف، والذي عليه الجمهور أنَّه قَسَمٌ من الله ـ عزَّ وجلَّ ـ يُقسِمُ بما شاء من خلقه، وهو دليلٌ على عظمته»[1].

وههنا سؤال يكثر إيراده في باب القَسَم وهو: أنَّه قد ورد النهي عن الحلف بغير الله عزَّ وجلَّ، فكيف جاء في القرآن القَسَم بالمخلوقات؟

وللعلماء أجوبةٌ كثيرةٌ عن هذا السؤال، وعن الأجوبة اعتراضات عند بعضهم، والكلام فيها يطول، لكنَّ أصح هذه الأجوبة وأحسنها ـ وهو المنقول عن السلف ـ أنَّ الله عزَّ وجلَّ يقسِمُ بما شاء من خلقه، وليس للخلق أن يُقسِمُوا إلا به سبحانه، كما قال عزَّ وجلَّ: ﴿لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ ۝٢٣﴾ [الأنبياء/ ٢٣].

* * *

= (٧/ ٥٤٣).

(١) «تفسيره» (٧/ ٥٤٣).

أشتاتٌ من الفوائد:

وقفتُ ـ أثناء قراءتي ومطالعتي ـ على فوائد مبثوثة هنا وهناك تتعلق بالقَسَم ولا ينتظمها أمرٌ واحد، فأحببتُ أن أثبتها ههنا تتميمًا للفائدة:

* حكىٰ القرافي (٦٨٤هـ) الإجماعَ على أنَّ القَسَم من أقسام الإنشاء لا الخبر[١].

* قال ابن خالويه (٣٧٠هـ): «واعلم أنَّ القَسَم يحتاج إلىٰ سبعة أشياء: أحرف القَسَم، والمقسم، والمقسَم به، والمقسَم عليه، والمقسَم عنده، وزمان، ومكان»[٢].

* أوَّلُ قَسَمٍ في القرآن بحسب ترتيب النزول جاء في سورة «القَلَم»: ﴿نٓۚ وَٱلۡقَلَمِ وَمَا يَسۡطُرُونَ ١﴾[٣].

* قال الثعلبي (٤٢٧هـ)[٤]: «وجوابات القَسَم سبعةٌ:

١ ـ «إنَّ» الشديدة، كقوله: ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَبِٱلۡمِرۡصَادِ ١٤﴾ [الفجر/ ١٤].

٢ ـ و«ما» النفي، كقوله: ﴿وَٱلضُّحَىٰ ١﴾ . . . ﴿مَا وَدَّعَكَ﴾ [الضحى/ ١ ـ ٣].

---

(١) «الفروق» (١/ ١٠٦). ونقله عنه السيوطي في «معترك الأقران» (١/ ٤٤٩)، وطاش كبري زاده في «مفتاح السعادة» (٢/ ٤٩٤).

(٢) «إعراب ثلاثين سورة من القرآن» (٤٦). وراجع كتاب «أسلوب القَسَم واجتماعه مع الشرط في رحاب القرآن الكريم» لعلي أبو القاسم عون (٣٨ ـ ٣٩) ففيه تمثيل وشرح.

(٣) انظر: «قواعد التدبر الأمثل لكتاب الله» عبدالرحمن حبنكة (٤٦٥).

(٤) «الكشف والبيان» (٩/ ٩٣ ـ ٩٤)، وعنه البغوي في «معالم التنزيل» (٧/ ٣٥٦).

٣ ـ و«اللام» المفتوحة، كقوله: ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسْـَٔلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩٢﴾﴾ [الحجر/ ٩٢].

٤ ـ و«إنْ» الخفيفة، كقوله: ﴿تَٱللَّهِ إِن كُنَّا لَفِى. . .﴾ [الشعراء/ ٩٧].

٥ ـ و«لا»، كقوله: ﴿وَأَقْسَمُوا۟ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ ۙ لَا يَبْعَثُ ٱللَّهُ مَن يَمُوتُ ۚ. . .﴾ [النحل/ ٣٨].

٦ ـ و«قد»، كقوله: ﴿وَٱلشَّمْسِ وَضُحَىٰهَا ﴿١﴾ . . . قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ﴿٩﴾﴾ [الشمس/ ١ ـ ٩].

٧ ـ و«بل»، كقوله: ﴿قٓ ۚ وَٱلْقُرْءَانِ ٱلْمَجِيدِ ﴿١﴾ بَلْ عَجِبُوٓا۟﴾ [ق/ ١ ـ ٢]».

* جاء الاستفتاح بالقَسَم في خمس عشرة سورة من القرآن، كلها مبدوءة بحرف «الواو»، وكلها سورٌ مكيَّةٌ، وهي:(١)

١ ـ والصافات.

٢ ـ والذاريات.

٣ ـ والطور.

٤ ـ والنجم.

٥ ـ والمرسلات.

٦ ـ والنازعات.

٧ ـ والسماء ذات البروج.

---

(١) انظر: «مقدمة في الدراسات القرآنية» لمحمد فاروق النبهان (١٧٣).

٨ ـ والسماء والطارق.

٩ ـ والفجر.

١٠ ـ والشمس.

١١ ـ والليل.

١٢ ـ والضحىٰ.

١٣ ـ والتين.

١٤ ـ والعاديات.

١٥ ـ والعصر.

* أطول موضع في القرآن الكريم تتابع فيه القَسَم جاء في سورة «الشمس»، حيث تتابعَتْ سبع آياتٍ متوالياتٍ يطَّرد فيها القَسَم بحرف «الواو» في صدر كل آية[1].

* لم تأتِ سورة مدنيَّةٌ مبدوءةٌ بحرف القَسَم «الواو»[2].

* صيغة القَسَم «تالله» لم ترد إلا في الآيات المكيَّة فقط[3].

---

(١) انظر: «الإعجاز البياني للقرآن» لعائشة بنت الشاطيء (٢٢٩)، و«القَسَم في القرآن الكريم» لحسين نصَّار (٩١).

(٢) انظر: «القَسَم في القرآن الكريم» لحسين نصَّار (٩١)، وأحال في الهامش علىٰ مصادر أخرى.

(٣) انظر: «دراسات في القرآن» ليوسف خليف (١١١)، و«القَسَم في القرآن الكريم» لحسين نصَّار (٩١).

* أكثر ما أقسم الله به من المخلوقات هو «الليل»، حيث جاء القَسَم به في ستٍّ آياتٍ مباركات؛ وهي:

١ ـ في سورة [المدثر/ ٣٣]: ﴿وَٱلَّيۡلِ إِذۡ أَدۡبَرَ ۝٣٣﴾.

٢ ـ في سورة [الانشقاق/ ١٧]: ﴿وَٱلَّيۡلِ وَمَا وَسَقَ ۝١٧﴾.

٣ ـ في سورة [التكوير/ ١٧]: ﴿وَٱلَّيۡلِ إِذَا عَسۡعَسَ ۝١٧﴾.

٤ ـ في سورة [الفجر/ ٤]: ﴿وَٱلَّيۡلِ إِذَا يَسۡرِ ۝٤﴾.

٥ ـ في سورة [الشمس/ ٤]: ﴿وَٱلَّيۡلِ إِذَا يَغۡشَىٰهَا ۝٤﴾.

٦ ـ في سورة [الليل/ ١]: ﴿وَٱلَّيۡلِ إِذَا يَغۡشَىٰ ۝١﴾.

* ورد المقسَم به مسبوقًا بأداة النفي «لا» في ثمانية مواضع من القرآن الكريم[(١)]، وهي:

أ/ مقسَم به تقدمته أداة النفي مقترنة بـ«الفاء»، وذلك في ستة مواضع من القرآن الكريم، وكلها في ثنايا السور، وهي:

١ ـ قوله تعالىٰ: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤۡمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيۡنَهُمۡ﴾ [النساء/ ٦٥].

٢ ـ وقوله تعالىٰ: ﴿فَلَآ أُقۡسِمُ بِمَا تُبۡصِرُونَ ۝٣٨ وَمَا لَا تُبۡصِرُونَ ۝٣٩﴾ [الحاقة/ ٣٨ ـ ٣٩].

---

(١) انظر: «أسلوب القَسَم الظاهر في القرآن الكريم» للدكتور: سامي عطا حسن (٣٧)، مقال في مجلة الشريعة والدراسات الإسلامية ـ جامعة الكويت، العدد (٥٣)، سنة ١٤٢٤هـ ـ ٢٠٠٣م.

٣ ـ وقوله تعالىٰ: ﴿فَلَآ أُقۡسِمُ بِرَبِّ ٱلۡمَشَٰرِقِ وَٱلۡمَغَٰرِبِ إِنَّا لَقَٰدِرُونَ ۝٤٠﴾ [المعارج/ ٤٠].

٤ ـ وقوله تعالىٰ: ﴿۞ فَلَآ أُقۡسِمُ بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ ۝٧٥﴾ [الواقعة/ ٧٥].

٥ ـ وقوله تعالىٰ: ﴿فَلَآ أُقۡسِمُ بِٱلۡخُنَّسِ ۝١٥ ٱلۡجَوَارِ ٱلۡكُنَّسِ ۝١٦﴾ [التكوير/ ١٥ ـ ١٦].

٦ ـ وقوله تعالىٰ: ﴿فَلَآ أُقۡسِمُ بِٱلشَّفَقِ ۝١٦﴾ [الإنشقاق/ ١٦].

ب/ ومقسَمٌ به مسبوق بأداة النفي «لا» غير مقترنة بـ«الفاء» وذلك في موضعين:

١ ـ قوله تعالىٰ: ﴿لَآ أُقۡسِمُ بِيَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ ۝١ وَلَآ أُقۡسِمُ بِٱلنَّفۡسِ ٱللَّوَّامَةِ ۝٢﴾ [القيامة/ ١ ـ ٢].

٢ ـ وقوله تعالىٰ: ﴿لَآ أُقۡسِمُ بِهَٰذَا ٱلۡبَلَدِ ۝١﴾ [البلد/ ١].

* ورد القَسَم بالقرآن الكريم في خمسة مواضع، كلها مسبوقة بالحروف المقطَّعة التي افتتحت بها السور[(١)]؛ وهي:

١ ـ قوله تعالىٰ: ﴿يسٓ ۝١ وَٱلۡقُرۡءَانِ ٱلۡحَكِيمِ ۝٢﴾ [يس/ ١ ـ ٢].

٢ ـ وقوله تعالىٰ: ﴿صٓۚ وَٱلۡقُرۡءَانِ ذِي ٱلذِّكۡرِ ۝١﴾ [صٓ/ ١].

٣و٤ ـ وقوله تعالىٰ: ﴿حمٓ ۝١ وَٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡمُبِينِ ۝٢﴾ [سورتا الزخرف والدخان].

---

(١) انظر: «القَسَم في القرآن الكريم» لحسين نصَّار (٤٨).

٥ ـ وقوله تعالىٰ: ﴿قٓ وَٱلْقُرْءَانِ ٱلْمَجِيدِ ۝١﴾ [ق/ ١].

* قال ابن القيم ـ رحمه الله ـ عند قوله تعالىٰ: ﴿فَلَآ أُقْسِمُ بِمَا تُبْصِرُونَ ۝٣٨ وَمَا لَا تُبْصِرُونَ ۝٣٩﴾ [الحاقة/ ٣٨ ـ ٣٩]: «وهذا أعمُّ قَسَمٍ وقع في القرآن، فإنَّه يَعُمُّ العلويَّات والسُّفْليَّات، والدنيا والآخرة، وما يُرىٰ وما لا يُرىٰ، ويدخل في ذلك الملائكة كلهم، والجنُّ، والإنسُ، والعرشُ، والكرسيُّ، وكلُّ مخلوق»[(١)].

* وقال أيضًا: «ثُمَّ أقسَم ـ سبحانه ـ أعظمَ قَسَمٍ، بأعظم مقسَمٍ به، على أجلِّ مقسَمٍ عليه، وأكَّد الإخبار به بهذا القَسَم، ثُمَّ أكَّده ـ سبحانه ـ بشِبْهه بالأمر المحقَّق الذي لا يشكُّ فيه ذو حاسَّةٍ سليمةٍ، قال تعالىٰ: ﴿فَوَرَبِّ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ إِنَّهُۥ لَحَقٌّ مِّثْلَ مَآ أَنَّكُمْ تَنطِقُونَ ۝٢٣﴾ [الذاريات/ ٢٣]»[(٢)].

* * *

---

(١) «التبيان» (٢٦٤).

(٢) «التبيان» (٦٣٨).

المصنَّفات في أقسام القرآن:

من عادة السيوطي ـ رحمه الله ـ في «الإتقان» أنَّه إذا ذكر نوعًا من علوم القرآن يصدِّره بذكر مَنْ أفرده بالتأليف وينقل منه بعض نصوصه، فلما ذكر أقسام القرآن لم يذكر إلا كتاب «التبيان» فقط[1]، ومن جاء بعده تبعوه في ذلك.

ولأجل ذلك جزم جماعة من أهل العلم بأنَّه لم يُفْرِد أقسام القرآن بمصنَّف إلا ابنُ القيم ـ رحمه الله ـ في كتابه «التبيان»، وأنَّه «أوَّل كتابٍ مفصَّلٍ علمي مؤسَّسٍ على الدراسة العميقة، والتدبر في القرآن، واستعراضٍ لأنواع الأقسام والمقسم بها ومواردها في القرآن»[2].

لكن كلام الشيخ محمد أبو شهبة يشعر بوجود مصنفاتٍ أخرىٰ في هذ الفنِّ حيث قال: «وقد ألَّف العلماء في أقسام القرآن كتبًا مستقلة، ولعلَّ أحفلها وأجلَّها ـ فيما أعلم ـ «التبيان في أقسام القرآن» لابن القيم»[3].

فكلام أبو شهبة ـ رحمه الله ـ يفيد بوجود وفرةٍ في مؤلَّفات أقسام القرآن، وأنَّ هناك من سبق ابن القيم ولحقه في إفرادها بالتأليف؛ إلا أنَّه لم يذكر لنا ما وقف عليه من تلك الكتب ولو كانت مخطوطةً لم تطبع بَعْدُ.

---

(١) انظر: «الإتقان» (٢/١٠٤٨).

(٢) من كلام أبي الحسن الندوي في مقدمته لكتاب «إمعان في أقسام القرآن» للفراهي (١٠).

(٣) «المدخل لدراسة القرآن الكريم» (٢٤٨).

والأمر ليس كما أفاد؛ فأمَّا قبل عصر ابن القيم فإنِّي لم أقف بعد البحث في كتب الطبقات والسير على مؤلَّفاتٍ في أقسام القرآن إلا على كتابٍ واحدٍ لأبي عمرو الدمشقي عبدالله بن أحمد بن بشير ـ ويقال: بشر ـ بن ذكْوَان (٢٤٢هـ) أحد مشاهير القرَّاء الشاميين، سمَّاه: «أقسام القرآن وجوابها»[١]، ولا أعرف من خبره شيئًا.

وأمَّا بعد عصر ابن القيم فلا يكاد الباحث يقف إلا على تلخيص ابن طولون لكتاب «التبيان» حيث سمَّاه: «خلاصة التبيان في أيمان القرآن»، وليس بعد ذلك إلا دراسات المتأخرين والمعاصرين في أبحاثهم ومقالاتهم وبعض كتبهم.

ويبقىٰ كتاب «التبيان» متفردًا في بابه[٢]، قد خاض العلماء في عُبَابه، وحَطُّوا رحالهم على أعتابه، فوجدوا فيه جواهر مكنونة، ومعادن مخزونة، فاستفادوا منه، ولم يرغبوا عنه، ولم يتجاسروا على مجاراته، حتىٰ غدا عَلَمًا على هذا الفن.

---

(١) عزاه له ابن الجزري في «غاية النهاية» (١/ ٤٠٤ ـ ٤٠٥)، وعنه كحَّالة في «معجم المؤلفين» (٢/ ٢٢٢).

(٢) أما ما ذكره الحكيم الترمذي في «نوادر الأصول» (٣/ ٢٠٣) في الأصل الرابع والأربعين بعد المائتين تحت عنوان: (في بيان أقسام القرآن)؛ فليس مراده بأقسام جمع (قَسَم) الذي هو اليمين، وإنما مراده جمع (قِسْم)؛ لأنه ذكر أنواع دلالات الآيات على مضمونها.

القسم الثاني: التعريف بالكتاب ومباحثه

- عنوان الكتاب
- نسبة الكتاب إلى مؤلِّفه
- تأريخ تأليف الكتاب
- موضوع الكتاب
- منهج المؤلِّف في الكتاب
- موارد المؤلِّف في الكتاب
- أهمية الكتاب وأثره فيمن بعده
- طبعات الكتاب
- نسخ الكتاب
- عملي في التحقيق



عنوان الكتاب:

اشتهر هذا الكتاب ـ منذ طبعته الأُولىٰ ـ بين النَّاس بـ«التبيان في أقسام القرآن»، وبه تتابعت سائر الطبعات، وكذا تناولته أقلام الباحثين في الإحالات والدراسات، وصار هذا العنوان هو الاسم العَلَمي لهذا الكتاب، ولهذا أسبابُه. . . فمنها:

١) أنَّ بعض من ترجم للمؤلِّف سمَّاه بهذا الاسم؛ كما في «كشف الظنون» (١/ ٣٤١)، و«هدية العارفين» (٢/ ١٥٨)، و«الأعلام» (٦/ ٥٦).

٢) أنَّ لفظ «القَسَم» هو الوارد في القرآن الكريم في أقسام الله ـ عزَّ وجلَّ ـ دون لفظ «اليمين» أو «الحَلِف» ونحو ذلك، فاشتُقَّ اسم الكتاب من لفظ «القَسَم» دون غيره لأنه موافق لمضمونه، مقاربٌ لمرسومه.

٣) أنَّ المؤلِّف ـ رحمه الله ـ خصَّ كتابه للكلام عن القَسَم فقط، ولهذا يبدأ غالب فصول الكتاب بقوله: «ومن ذلك قَسَمُه سبحانه بـ. . .»، فانتزعوا اسم الكتاب من تصرفات المؤلِّف في ثناياه.

٤) أنَّ مقدِّمة المؤلِّف ـ رحمه الله ـ قد خلت منها جميع الطبعات! فإنَّ الناشر الأوَّل لعله اعتمدَ على نسخةٍ سقطت منها هذه المقدِّمة، فاجتهد في تسمية الكتاب، فكان ما تراه من اسم الشهرة، ثُمَّ تابعه عليه من جاء بعده.

٥) أنَّ هذا الاسم جاء في صفحة العنوان للنسخة (ز).

وجاء في صفحة العنوان للنسختين (ح) و(م) اسم الكتاب هكذا: (كتاب أقسام القرآن والكلام على ذلك).

وذكره عبد اللطيف بن محمد المعروف بـ«رياضي زاده» في كتابه «أسماء الكتب» (٨٠) فسمَّاه: «التبيان في معرفة أحكام القرآن»! وقد تفرَّد بذلك، وهو سهوٌ.

وكل ما مضىٰ يتهاوىٰ أمام تسمية المؤلِّف لكتابه في المقدِّمة، والتصريح بذلك، ويجعلنا نجزم أنَّ تلك التسميات كانت من قبيل الاجتهاد بالمعنىٰ لا غير، فإنَّ الاسم العَلَمي الصحيح للكتاب هو: **«التبيان في أيمان القرآن»**، وإليك الأسباب:

أوَّلاً: أنَّ المؤلِّف ـ رحمه الله ـ قد ذكر هذا العنوان صراحةً وسمَّاه به في خطبة الكتاب حيث قال: «فهذا كتابٌ صغير الحجم، كبير النفع، فيما وقع في القرآن العزيز من الأيمان والأقسام، والكلام عليها يمينًا، وارتباطها بالمقسَم عليه، وذكر أجوبة القَسَم المذكورة والمقدَّرة، وأسرار هذه الأقسام، فإنَّ لها شأنًا عظيمًا يعرفه الواقف عليه في هذا الكتاب، وسمَّيته: «كتاب التبيان في أيمان القرآن»».

ثانيًا: أنَّ المؤلِّف ـ رحمه الله ـ قد أحال على هذا الكتاب باسم **«أيمان القرآن»** في موضعين من كتابه المعروف «الداء والدواء»[١].

ثالثًا: أنَّ أكثر من ترجم للمؤلِّف ـ خاصةً المتقدمين منهم ـ يذكرونه باسم «أيمان القرآن»، وفي مقدمتهم تلميذه ابن رجب الحنبلي في «ذيل طبقات الحنابلة» (٥/ ١٧٦)، وكذا قاله: الداودي في «طبقات المفسِّرين» (٢/ ٩٣)، والعليمي في «المنهج الأحمد» (٥/ ٩٥)، وفي «الدر المنضَّد» (٢/ ٥٢٢)، وابن العماد في «شذرات الذهب»

---

(١) انظر منه (ص/ ٨٣) و(ص/ ٤٧٠).

(٨/ ٢٩١)، وابن ضويان في «رفع النقاب» (٣٢٠)، والبغدادي في «هدية العارفين» (٢/ ١٥٨).

رابعًا: أنَّ هذا الاسم جاء على صفحة العنوان في بعض النسخ المخطوطة للكتاب كما في النسخة (ن)، والنسخة (ط)، ونسخة مكتبة وحيد باشا في كتاهية بتركيا رقم (٣) وقد كتبت في القرن التاسع[١].

خامسًا: أنَّ العلاَّمة شمس الدين ابن طولون الحنفي (٩٥٣هـ) قد لخَّص الكتاب وسمَّاه بالخلاصة مع المحافظة على عنوان الكتاب فقال: «خلاصة التبيان في أيمان القرآن»[٢].

---

(١) انظر: «الفهرس الشامل» (١/ ٤٠٩) علوم القرآن، و«الأثبات في مخطوطات الأئمة» للشبل (٢٤٧).

(٢) منه نسخة خطية فريدة بخط المؤلف محفوظة في دار الكتب المصرية، مجاميع تيمور رقم (٢٠٣) ضمن مجموع، موضع الكتاب منه (٢١٣ ـ ٣٨٦) ورقة.

نسبة الكتاب إلى المؤلِّف:

الأصل أنَّ الأمر المتيقَّن لا يحتاج إلىٰ إثبات؛ لأنَّ «الثابت ثابت»، فتعداد أدلَّة ثبوته تحصيل حاصل كما هو الحال ههنا في كتاب «التبيان».

لكنَّ أهل التحقيق درجوا في مقدِّماتهم علىٰ بيان نسبة الكتاب إلى مؤلِّفه؛ استيثاقًا للبحث، وطمأنةً للقاريء، وإجهازًا منهم على فلول الشك والاحتمال، وطلبًا لإثبات الكتاب إلىٰ مؤلِّفه على وجه الكمال.

وعليه فأقول:

لا شكَّ في نسبة كتاب «التبيان» إلى ابن القيم؛ لأمور:

أوَّلاً: أنَّ المؤلِّف ـ رحمه الله ـ ذكره لنفسه في بعض كتبه الأخرىٰ، وأحال عليه في مواطن، كماجاء في كتابه المعروف «الداء والدواء» في موضعين:

أوَّلهما: عند قوله: «وقد ذكرنا وجه الاستدلال بذلك في كتاب «أيمان القرآن» عند قوله: ﴿فَلَآ أُقۡسِمُ بِمَا تُبۡصِرُونَ ﴿٣٨﴾ وَمَا لَا تُبۡصِرُونَ ﴿٣٩﴾﴾ [الحاقة/ ٣٨ ـ ٣٩]، وذكرنا طرفًا من ذلك عند قوله: ﴿وَفِيٓ أَنفُسِكُمۡۚ أَفَلَا تُبۡصِرُونَ ﴿٢١﴾﴾ [الذاريات/ ٢١]، وأنَّ الإنسان دليلٌ على وجود خالقه وتوحيده، وصدق رسله، وإثبات صفات كماله»[1].

وثانيهما: عندما بيَّن إقسامَ الله ـ سبحانه ـ بطوائف من الملائكة المنفِّذين لأمره في الخليقة، ثُمَّ قال: «وقد ذكرنا معنىٰ ذلك وسرَّ

(١) انظر: «الداء والدواء» (٨٣).

الإقسام به في كتاب «أيمان القرآن»»[1].

ثانيًا: أنَّ المؤلِّف ـ رحمه الله ـ أحال في هذا الكتاب أثناء بحثه لبعض مسائل القياس على كتابه العَلَم «إعلام الموقعين»[2]، وستأتي عبارته قريبًا إن شاء الله.

ثالثًا: أنَّه ذكر شيخه المبجَّل شيخ الإسلام ابن تيمية في مواضع عدَّة، وانتصر لاختياراته، وغالب هذه المواضع يصرِّح به[3]، وأحيانًا ينقل كلامه بلا تصريح ولا عَزْو؛ لكنه يصرِّح بذلك في كتبه الأخرىٰ، فهو يترك التصريح به فيما قد عُرف عنه أنَّه ينقله عن شيخه، واشتُهر ذلك في كتبه، وهذا من عظيم احتفائه بشيخه، وحفظه لحقه عليه، رحم الله الجميع.

رابعًا: كل من ترجم له ينسب الكتاب إليه، المتقدمون منهم والمتأخرون، ولا يُعرف عن أحدٍ منهم أنَّه شكَّك في نسبته إليه.

خامسًا: أنَّ جماعةً من أهل العلم ـ ممَّن جاء بعد عصر المؤلِّف ـ استفادوا من الكتاب ونقلوا منه بعض قضاياه ومسائله، وسيأتينا ـ إن شاء الله ـ النقل عنهم، كلهم يعزُون ذلك إلى ابن القيم في كتابه «التبيان».

سادسًا: الكتاب بيِّنٌ بنَفسه، وشاهدٌ على نَفْسِه؛ أنَّه صنيعةُ ابن القيم وممَّا خطَّته أنامله، وكلُّ من أَلِف طريقته وأُسلوبه ميَّز بين ما هو له وما هو لغيره بمجرد الاطلاع والنظر، فبسطُه للمسائل، وإحاطتُه بأقوال

---

(١) انظر: «الداء والدواء» (٤٧٠).

(٢) انظر: «التبيان» (٣٤٥).

(٣) راجع فهرس الأعلام ففيه الإحالة على أرقام الصفحات.

السلف، وتحريره للنقول، وإقامته للحُجَّة، وحشدُه للأدلَّة، ودفعه للاعتراض، ورعايته للمقاصد، ودرايته بالحِكَم = منهجٌ لكتبه معروف، ومسلكٌ لمصنفاته مألوف.

سابعًا: جميع صفحات العنوان في المخطوطات أُثبت عليها نسبة الكتاب لابن القيم رحمه الله.

تأريخ تأليف الكتاب:

لم يذكر ابن القيم ـ رحمه الله ـ تأريخ تأليفه لكتابه، ولم ينقل عنه أحدٌ من تلاميذه خبرًا في ذلك؛ إلا أنَّنا يمكن أن نستفيد من إشارتين اثنتين لبيان تأريخ تأليفه على وجه التقريب لا التحديد:

أولاهما: أنَّه أحال في ثنايا الكتاب على كتابه الآخر «إعلام الموقعين»، فقال: «وقد بيَّنا في كتابنا «المعالم» بطلان التحليل وغيره من الحيل الربويَّة»[1].

فهذا النقل يفيدنا أنَّه ألَّف كتاب «التبيان» بعد كتابه «إعلام الموقعين».

وثانيهما: أنَّه في كتابه «الداء والدواء» قد أحال على كتاب «التبيان» في موضعين[2]، ممَّا يفيدنا أنَّه ألَّفه قبل كتاب «الداء والدواء».

وعليه فيكون تأليفه لكتاب «التبيان» منحصرًا بين سنة تأليفه لكتاب «إعلام الموقعين»، وسنة تأليفه لكتاب «الداء والدواء»، إلاَّ أنَّ الإشكال قائمٌ من حيث إنَّنا لا نعلم ـ تحديدًا ـ سنة تأليفه لهذين الكتابين! لكن هذا غاية ما توصلنا إليه.

وثَمَّ أمرٌ يُستأنس به ههنا؛ وهو أنَّ ابن القيم ـ رحمه الله ـ تمنَّىٰ أن يؤلِّف تفسيرًا للقرآن على نهجٍ سار عليه في تفسير «سورة الكافرون» في

---

(١) «التبيان» (٣٤٥).

(٢) انظر «الداء والدواء» (٨٣) و(٤٧٠).

وقد ذكر الدكتور: أحمد ماهر البقري في كتابه «ابن القيم اللغوي» (٦٤) أنَّه ألَّف كتابه «التبيان» بعد «الجواب الكافي»! وهذا سبق قلم.

كتابه «بدائع الفوائد»[1]، ثُمَّ قال: «وقد كتبتُ على مواضع متفرقة من القرآن بحسب ما يسنح من هذا النَّمَط وقتَ مقامي بمكة وبالبيت المقدَّس، والله المرجو إتمام نعمته»، فهل يكون من تلك المواضع المتفرقة التي كتبها اعتناؤه بأقسام القرآن، واستيفاؤه الكلام عليها، وإفرادها بكتابه «التبيان»، في تلك المدة، وذاك التأريخ؟ . . . احتمال.

(١) (١/ ٢٣٤ ـ ٢٤٩).

موضوع الكتاب:

أنشأ ابن القيم ـ رحمه الله ـ هذا الكتاب للكلام عن الأيمان، وخصَّه بالأيمان والأقسام الواردة في القرآن الكريم، وتكلَّم عمَّا يلحق هذه الأيمان من لواحق وتوابع، وأفصح عن ذلك كلِّه في مقدِّمة كتابه حيث قال:

«فهذا كتابٌ صغير الحجم، كبير النفع، فيما وقع في القرآن العزيز من الأيمان والأقسام، والكلام عليها يمينًا، وارتباطها بالمقسَم عليه، وذكر أجوبة القَسَم المذكورة والمقدَّرة، وأسرار هذه الأقسام، فإنَّ لها شأنًا عظيمًا يعرفه الواقف عليه في هذا الكتاب»[1].

فتبيَّن من خطبة المؤلِّف هذه غرضه من تأليفه، وموضوعه الذي سيدور حوله ويتحدَّث عنه، وهو عدة أمور:

أوَّلها: الأيمان والأقسام الواردة في القرآن الكريم خاصةً.

وثانيها: تحقيق كون هذه الأيمان والأقسام كذلك.

وثالثها: ارتباط هذه الأيمان بالمقسَم عليه، وبيان التناسب بينها.

ورابعها: ذكر أجوبة القَسَم سواء كانت مذكورة أو مقدَّرة.

وخامسها: ما يتعلق بهذه الأيمان من الأسرار والحِكَم والغايات.

فأمَّا الأمور الأربعة الأخيرة فاستوفاها إلى الغاية بل وأربىٰ، وأتىٰ فيها بكل ما يُستملح بل وأحلىٰ، فأفاد وأجاد.

---

(١) (ص/٣).

وأمَّا الأمر الأوَّل منها فالحقُّ أنَّه لم يتتبع كل ما في القرآن من الأيمان والأقسام، بل ترك الكلام عن الأيمان التي حكاها الله ـ عزَّ وجلَّ ـ في القرآن عن خلقه، وترك ـ أيضًا ـ الأيمان المقدَّرة، مع أنَّ هذا الكتاب مظنَّةٌ لدراستها، والمعروف عن ابن القيم ـ رحمه الله ـ أنَّه يتتبع القضايا والمسائل التي تتعلَّق بموضوع الكتاب الذي يصنِّفُه، ولا أدري سببًا لتفويت هذا الشمول والاستيعاب، الأمر الذي فسح لبعضهم مدخلاً لتعقُّبه في ذلك[1]!

إذن موضوع الكتاب يتعلَّق ـ فقط ـ بالأيمان الربَّانية الصريحة الظاهرة في القرآن الكريم، والكلام علىٰ ما يتعلق بها ممَّا أوضحه في المقدِّمة وسبق بيانه، إلا أنَّه فاته ـ أيضًا ـ شيءٌ يسير من هذه الأيمان الربَّانية تُعرف بتتبعها في القرآن الكريم.

---

(١) انظر مقال الأستاذ: عبدالله بن سالم الحمود الدوسري بعنوان: «منهج ابن القيم في كتابه التبيان في أقسام القرآن؛ دراسة وتقويم»، مجلة كلية اللغة العربية بجامعة الإمام، العدد (٧)، (ص/٦٤٨).

وراجع كلام الشيخ: عبدالرحمن حسن حبنكة في «قواعد التدبر الأمثل لكتاب الله عزَّ وجلَّ» (٤٦٣).

منهج المؤلِّف في الكتاب:

لابن القيم ـ رحمه الله ـ في جميع كتبه منهج عامٌّ وخاصٌّ.

فأمَّا المنهج العامُّ فطريقته التي سلكها في تآليفه حتَّىٰ غَدَت واضحة المعالم، بيِّنة الملامح؛ من اعتماده على نصوص الكتاب والسُّنَّة الصحيحة، وتقديمه لأقوال الصحابة، واحتفائه بأقوال السلف، وقوَّةٍ في الحُجَّة، وطول نَفَسٍ في تقرير المسائل، مع مراعاة المقاصد والحِكَم، واطِّراح الشاذ والضعيف والمنكر من الآراء والأقوال والمذاهب؛ كل ذلك بأسلوبه الممتع الجذَّاب.

وأمَّا المنهج الخاصُّ فهو ما سلكه من طريقةٍ في كل كتابٍ بما يناسبه ويلائمه، فإنَّه ـ رحمه الله ـ قد كتب في غالب الفنون الشرعية، وكلُّ فنٍّ لمسائله ذوقها، ولأهله لغتهم.

وكتابنا «التبيان» يمكننا أن نقسمه إلى قسمين: قسمٍ نظري تأصيلي، وقسمٍ تطبيقي.

القسم النظري التأصيلي:

عمد ابنُ القيم ـ رحمه الله ـ في أوَّل كتابه «التبيان» إلى تقرير قواعد وأصول هذا الفنِّ وهو أيمان القرآن، وخطَّ له خطوطًا عريضةً سار عليها في باقي كتابه. وقد أحسن في ذلك أيَّما إحسان؛ لأنَّه بنىٰ سائر كتابه على هذه الأصول والقواعد، وصار يُرجِعُ مسائله إليها، وردَّ إليها ما أشكل من تفسير آيات القَسَم، الأمر الذي أبعده عن الاضطراب والتذبذب الذي وقع فيه غيره.

بدأ المؤلِّف ـ رحمه الله ـ ببيان وجود القَسَم في القرآن وأنَّه واردٌ في

كلام الله عزَّ وجلَّ، وأنَّ الله ـ سبحانه ـ يُقسم بأمرين اثنين:

الأوَّل: بنفسه المقدَّسة الموصوفة بصفاته العليا.

والثاني: بآياته المستلزمة لذاته وصفاته[1].

وقرَّر بأنَّ القَسَم ببعض المخلوقات دليلٌ على أنَّها من آياته، وأنَّ في ذلك إشادةً بها وتنويهًا، وإذا كان الأمر كذلك فلابد أن يتعلق بها أمران:

الأوَّل: أن تكون هذه الآيات من الأمور المشهودة الظاهرة، فإنَّ «آيات الرَّبِّ التي يُقسِم بها لا تكون إلا ظاهرةً جليَّةً يشترك في معرفتها الخلائق»[2].

والثاني: أنَّ هذه الآيات الظاهرة الجلية لا تأتي إلا مقسَمًا بها ولا تكون مقسَمًا عليها.

ثُمَّ بيَّن أنَّ للقَسَم إحدىٰ فائدتين:

١ ـ إمَّا تحقيق القَسَم.

٢ ـ وإمَّا تحقيق المقسَم عليه وتوكيده.

وقرَّر ـ أيضًا ـ أنَّ هذا المقسَم عليه لابد أن يكون من الأمور الغائبة التي يطالَب العبدُ بالإيمان بها[3].

وأمَّا جواب القَسَم فلا يخلو من حالتين:

---

(١) (ص/ ٥، ٢٦ ـ ٢٧، ٢١٠).
(٢) (ص/ ٥، ١٨٧، ٢٢٥).
(٣) (ص/ ٥، ٢٢٥).

١) إمَّا أن يذكر جواب القَسَم، وهو الغالب.

٢) وإمَّا أن يحذف، ويكون حذفه من أحسن الكلام حينئذٍ، وفي هذه الحال لا يخلو من أحد غرضين[١]:

أ/ إمَّا أنَّه لا يُراد ذكره أصلاً بل المراد من القَسَم تعظيم المقسَم به.

ب/ وإمَّا أنَّه مرادٌ، فيُعرف حينئذٍ بدلالة الحال أو السياق عليه.

ثُمَّ بيَّن ـ رحمه الله ـ أنَّ القَسَم لمَّا كان يكثر في الكلام؛ احتيج إلى اختصاره طلبًا لخفَّة اللسان وسهولة الاستعمال، فصار يُحذَف فعل القَسَم ويكتفىٰ بـ«الباء»، ثُمَّ عُوِّض عن «الباء»:

١ ـ «الواو» في الأسماء الظاهرة.

٢ ـ و«التاء» في اسم الله خاصة.

وأمَّا المقسَم عليه فقعَّد له قاعدةً كليَّةً فيما يُقسِم الله عليه، وأنَّه ـ سبحانه ـ إنَّما يُقسِم على أصول الإيمان التي يجب على جميع الخلق معرفتها والإيمان بها:

فتارةً يُقسِم على التوحيد.

وتارةً يُقسِم على أنَّ القرآن حقٌّ.

وتارةً يُقسِم على أنَّ الرسول حقٌّ.

وتارةً يُقسِم علىٰ حال الإنسان وصفته وعاقبته.

---

(١) (ص/ ١٣، ١٤).

وذكر أنَّ السبب في إقسامه ـ تعالىٰ ـ على هذه القضايا والأصول هو حاجة النفوس إلى معرفتها، وشدَّة فاقتها إلى الإيمان بها.

القسم التطبيقي:

لمَّا فرغ ابنُ القيم ـ رحمه الله ـ من تأصيل مسائل القَسَم في القرآن الكريم؛ أخذ بتطبيق ما أصَّله على آيات القَسَم التي فسَّرها على النحو التالي[1]:

* بيان الآية من جهة اللغة العربية، وهذا حَدَاهُ إلىٰ:

أ/ الكشف عن معاني الكلمات، وما فيها من دقائق وأسرار حتىٰ يتمَّ الفهم الصحيح للمعنىٰ المراد منها في الآية، كما فعل في:

- تفسير «الطَّحْو» (ص/ ٢٨).
- وتفسير «الكَبَد» (ص/ ٥١).
- وتفسير «الكَنُود» (ص/ ١٢٥).
- وتفسير «الدافق» (ص/ ١٦٠).
- وتفسير «الخُنَّس والكُنَّس» (ص/ ١٨٤).
- وتفسير «المَوْر» (ص/ ٤١١).
- وتفسير «الحُبُك» (ص/ ٤٣٤).

ب/ وهذا البيان لمعاني الكلمات حمله على توضيح الفرق بين

---

(١) ما سأذكره فيما يأتي من أرقام الصفحات إنما هو على سبيل التمثيل لا الحصر.

كلمةٍ وأخرىٰ، التماسًا منه ـ رحمه الله ـ لحكمة استعمال هذه اللفظة دون تلك، فمن ذلك:

ـ الفرق بين لفظ «السعي» و«العمل» (ص/ ١١ ـ ١٢).

ـ والفرق بين «النسيان» و«السهو» (ص/ ٤٣٨).

ـ والفرق بين قولك: «سبقته إليه» و«سبقته عليه» (ص/ ٢٩٠).

ـ والفرق بين «رَبْط الشيء» و«الرَّبْط علىٰ الشيء» (ص/ ٢٨١).

ج/ كلامه علىٰ بعض وجوه الإعراب للآية إذا كان اختلاف الإعراب ينبني عليه تغاير المعنىٰ، وانظر على سبيل المثال (ص/ ٢٧، ١٧٤، ٣١٤، ٣١٩).

* إذا كان في الآية قراءات متعدِّدة فإنَّه يذكرها، ويوجِّه معناها، وربما رجَّح بعضها علىٰ بعض من جهة دلالتها على المعنىٰ المراد، كما فعل في[1]:

ـ قراءة: «فامضوا إلى ذكر الله» (ص/ ١١).

ـ وقراءة: «فكَّ رقبةً» (ص/ ٦٥).

ـ وقراءة: «ذو العرشِ المجيدِ» بالكسر (ص/ ١٤٨).

* جمعه للنظائر والأشباه في مكانٍ واحدٍ، والتوفيق بين معانيها إذا كان ظاهرها التعارض، أو كان الفرق بينها لا يتجلَّىٰ إلا بالإيضاح والبيان، وانظر على سبيل المثال: (ص/ ٤٨، ١٠٦، ١٣١، ١٩٠، ٢٠٠،

(١) وانظر أيضًا: (ص/ ١٧٩، ١٩٦، ٣٢٣، ٣٧٣، ٣٧٥).

٢١٨، ٢٤١، ٢٤٥، ٢٥١، ٢٧٤، ٢٨٠، ٢٨٨، ٢٩٧، ٣٢٨، ٣٤٣).

* وأمَّا الأقوال في تفسير الآية فإنَّه يقوم بالتالي:

١ ـ يستوفي نقلها في الغالب، حتىٰ إنَّه ربما نقل الأقوال الضعيفة في تفسيرها طلبًا للاستيفاء، ويندر جدًّا أن يفوته قولٌ مشهورٌ في تفسير الآية كما حصل معه في سورة البلد (ص/ ٥٩).

٢ ـ يَعْزُو هذه الأقوال إلى أصحابها؛ بدءًا بالصحابة ـ رضي الله عنهم ـ ثُمَّ بمن يليهم، هذا هو الأعمُّ الأغلب؛ لكن ربما ترك العَزْوَ أحيانًا كما في (ص/ ٥٧، ٢٣٧، ٢٨٨، ٣٣٠، ٣٤٨، ٣٧٢، ٤٠٠، ٤٣٨، ٥٢٨، ٦٣٧).

٣ ـ ينقل نصوص أقوالهم بحروفها كما جاءت عنهم في التفاسير المسندة.

٤ ـ إذا كانت في ظاهرها متعارضة وأمكن الجمع بينها فإنَّه يجمع بينها ويدفع تعارضها كما فعل في (ص/ ٧٠، ٩١، ١٢٣، ١٥٧، ٢٠٧، ٢٢٧).

٥ ـ وربما كانت هذه الأقوال كثيرةً ومتباينةً في باديء النظر لكنها عند التأمُّل تؤول في حقيقتها إلى قولين أو ثلاثة مثلاً؛ فيردُّها إلى ذلك كما في (ص/ ٤٨، ١٤١، ١٧٢، ٢٢٣، ٢٣٢).

٦ ـ يذكر أدلَّة كل قول، ويرجِّح بينها، ويبرز جوانب القوَّة فيما يختاره من الأقوال، وهذا كثير في الكتاب كما في (ص/ ١٥، ٣٥، ٤٠، ٦٨، ٧٤، ٧٧، ٨٠، ١٠٥، ١١٥، ١١٦، ١٢٣، ١٣٣، ١٤٦، ١٦٣، ١٦٦، ١٧٥، ١٨٤، ١٩١، ٢٠٨، ٢١١، ٢١٢، ٢٣٥، ٢٧٦، ٢٩٢،

٣٣١، ٣٦٣، ٣٩٩، ٤٤١).

٧ ـ ينبِّه على الأقوال الضعيفة أو الساقطة أو البعيدة والمتكلَّفة كما في (ص/٢١٣، ٢١٦، ٢٢٥، ٢٩٦، ٣١٤، ٣٢٠، ٣٦٠).

* ثُمَّ بعد ذلك له ـ رحمه الله ـ تنقيبٌ عجيبٌ في خبايا الآيات، وتفتيشٌ مذهلٌ في كنوزها التي لا تنتهي، فيستنبط منها ما هو من حاجات القاريء وإن لم يكن من حاجة المفسِّر، ولربما أرخىٰ القلم بما هو من عَرَض الكتابة وإن لم يكن من أغراض التفسير، وهذا بحرٌ يحبُّ ابن القيم السباحة فيه ويُحسن الغَوص في أعماقه، فمن ذلك:

ـ مناقشته لطائفة من النظَّار والمتكلمين (ص/١٠، ٢٧، ٢٤٥) وغيرها.

ـ ردُّه على الطبائعيين والفلاسفة والدهرية والملاحدة (ص/٢٨، ٢٥٣، ٤٠٩، ٤٩٧).

ـ جوابه عن شُبَه القدريَّة والجبريَّة (ص/ ٩٩، ١٥٢، ٢٠٣) وغيرها.

ـ مناقشته للأطباء في قضايا الخلق والتكوين (ص/ ٤٩٢، ٤٩٩، ٥٠٣، ٥٣٨) وغيرها.

ـ بيان ما في الآية من مواعظ وآداب وتوجيهات.

ـ عنايته بذكر اللطائف والنُّكَت والفوائد العلمية (ص/٢١٩، ٣٢٢، ٤٣٩) وغيرها.

هذا قليلٌ من كثير من إبداعاته وإفاداته، ولعلَّ نظرةً إلى فهرس الفوائد العلمية يحيطك بشيء من ذلك.

وثَمَّ أمور تبرز لقارىء الكتاب؛ عدَّها بعضهم من المؤاخذات وهي في الحقيقة من الملحوظات[1] التي لا تخلو من توجيهٍ حسنٍ للمنصف القادح، أو نظرةٍ سديدةٍ للمستحسن المادح، وهذا أو ذاك لا يستطيع إخفاء حاجته إلى صيد ابن القيم رحمه الله، وإلا ما قصد إلى قراءة كتابه، ومن تلك الملحوظات:

١ ـ أنَّ ابن القيم ـ رحمه الله ـ لم يبيِّن لنا سبب تسميته لكتابه بـ«أيمان القرآن» وعدوله عن التسمية بأقسام القرآن، مع أنَّه يفتتح كلامه عن آيات القَسَم ـ غالبًا ـ بقوله: ومن ذلك قَسَمُه سبحانه بكذا... ثُمَّ يذكره.

وأيضًا؛ لم يرد في القرآن الكريم لفظ «اليمين» بالنسبة لله عزَّ وجلَّ، وإنَّما ورد لفظ «القَسَم» كما تراه في هذا الكتاب مشروحًا، أمَّا «اليمين» في القرآن الكريم فقد جاءت في حق الخلق واستعمالهم كما في قوله تعالىٰ: ﴿وَلَا تَجْعَلُوا اللَّهَ عُرْضَةً لِأَيْمَانِكُمْ﴾[البقرة/ ٢٢٤]، وقوله: ﴿لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ﴾ [البقرة/ ٢٢٥]، وقوله: ﴿وَاحْفَظُوا أَيْمَانَكُمْ﴾ [المائدة/ ٨٩]، وقوله: ﴿بِمَا عَقَّدتُّمُ الْأَيْمَانَ﴾ [المائدة/ ٨٩]، إلى غير ذلك من الآيات.

وقد يستطيع المتأمِّل الجواب عنه بما يظهر له من مليح الاستنباط، إلا أنَّنا كنَّا في شوقٍ لجواب ابن القيم نفسه لما عُرف عنه من الدقَّة،

---

(١) وليس كل ملحوظةٍ مؤاخذة، ومن الخطأ أن نحاكم عُرْف المتقدمين في التأليف إلى عُرْفنا المشوب بطرائق المستشرقين أو تنظير الخاملين من أصحاب الأكاديميات، وهذا ـ والله ـ من جنايات المعاصرين على تراث الأئمة، فكان القصاص في قلة بركة مؤلفاتهم، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

وصاحب الدار أدرىٰ بما فيه.

٢ ـ إذا تكلَّم في تفسير آيات القَسَم فإنَّه يُتمُّ تفسير السورة بأكملها وإن لم يكن لها تعلُّق بالأيمان والأقسام، وهذا كثيرٌ في الكتاب إلا في آخره فإنَّه اقتصر فيه على محلِّ القَسَم وما يتبعه.

٣ ـ استطراده ـ رحمه الله ـ في بعض المواطن بأمور خارجةٍ تمامًا عن التفسير وملحقاته، فمن ذلك:

ـ ذكره لمنافع التين والزيتون (ص/ ٦٩ ـ ٧٠).

ـ كلامه عن الليل والنَّهار (ص/ ٢٥٥ ـ ٢٦٠).

ـ ذكره لأنواع الأقلام (ص/ ٣٠٣ ـ ٣١٠).

ـ كلامه عن الاعتراض بين الجُمَل وفوائده (ص/ ٣٢٣ ـ ٣٢٨).

ـ وأيضًا كلامه عن الاستطراد ومحاسنه (ص/ ٣٩٧ ـ ٣٩٨).

ـ كلامه عمَّا يُستملح من خِلْقة المرأة (ص/ ٤١٩).

ـ كلامه عن الرِّياح (ص/ ٤٢٦ ـ ٤٢٩).

ـ كلامه عن الأرض (ص/ ٤٤٧ ـ ٤٥٧).

ـ كلامه عن خَلْق الإنسان والتفصيل في تكوينه وما في ذلك من الآيات الباهرات (ص/ ٤٥٧ ـ ٦٢٦)[1].

---

(١) وهذا أطول موضع لابن القيم ـ رحمه الله ـ على الإطلاق من بين سائر كتبه في كلامه عن خَلْق الإنسان وتفاصيل تكوينه.

وهذه الملحوظة والتي قبلها ممَّا تعنَّىٰ له ابنُ القيم ـ رحمه الله ـ وكان يستحسنه ويرتضيه وينوِّه به، وهو ممَّا يَزِينُه ولا يَشِينُه، ويُمدح به ولا يُعاب عليه، فإنَّه من جُود العلم وكَرَم العالم، يبذله متىٰ رامَ نفع النَّاس وإفادتهم، ومن محاسن الملاقاة ما جاء عَرَضًا لا قصدًا، وابن القيم ـ رحمه الله ـ خبيرٌ بنوادر العلم وفوائت العلماء، باذِلٌ لقارئيه أطيبه وأنفعه، فهو ـ رحمه الله ـ كيفما كتب بَرَع، كالغَيْث أينما وقعَ نَفَع، فلا لوم إذنْ.

وإنَّما تصلح المؤاخذة لمن يَحْشُو الكتاب بما لا يفيد، ويسوِّد الصفحات بما ضَرُّه أقرب من نفعه وعلى أحسن أحواله لا نفع فيه ولا ضرر، فهذا ممجوجٌ ومطَّرحٌ، كحال بعض مؤلِّفي زماننا ـ أصلح اللَّهُ أقلامهم ـ ممن يُحبِّرون الصُّحُف بنَادِّ اللفظ، ومستوحش المعاني، فتقل فائدتها عند العامة وتُعدَمُ لدىٰ الخاصة، وهذا مَتْنُ الكلام وقائمه فكيف بموقوذه ومتردِّيه! اللهم صَفْحًا.

وحاشا ابن القيم أن يكون استطراده كذلك، بل فيه من الفوائد والشوارد ما لو قرأته لتمنَّيتَ أن يكون كتابه كله على هذا المنوال لعظيم عائدتها، ولربما صَلُح بعضها لإفرادها بمصنَّف مستقِلٍّ لجودتها، وحسن بسطه فيها.

وخُذْ مثلاً على ذلك كلامه عن خَلْق الإنسان وتكوينه فإنَّه أبدع فيه إلى الغاية، وأشرف فيه على النهاية، وإنني لأجزم ـ وأنا على ثِقَل قدم ـ بأنَّ قارئه متىٰ بدأه لن يملَّه، ويمضي في قراءته حتىٰ يتمَّه، فإنَّ له لَذَّةً ومتعةً تأخذ بالألباب، وهو في أثناء ذلك لن يخلو من تعجُّبٍ وفكرة، أو من حكمةٍ وعِبرةٍ، أو من موعظةٍ وذكرىٰ، ونحو ذلك ممَّا يهذِّب

النفوس، ويصلح الأحوال، فاللهم زِدْهُ نعيمًا كما زادنا تفهيمًا.

٤ ـ كلامه في تفسير الآيات كان متَّسِقًا على نظامٍ واحدٍ في أكثر الكتاب وأغلبه، حتىٰ جاء إلىٰ قُبيل آخره ـ وتحديدًا من (ص/ ٦٣٧) فما بعدها ـ فصار يختصر الكلام على الآيات على غير المعهود عنه، بل ربما جمع الكلام على عدَّة آياتٍ مختلفاتٍ في موضعٍ واحدٍ! وهذا طبيعة أواخر الأشياء وتاليها.

موارد المؤلِّف في الكتاب:

تنوَّعت موارد المؤلِّف في كتابه شأنه في سائر كتبه، ويمكن تقسيم هذه الموارد إلى قسمين: قسمٍ سماعيٍّ، وقسمٍ كتابي مدوَّن.

القسم السماعي:

ونعني به ما تلقَّاه ابن القيم من مشايخه مشافهةً وإملاءً، فكان يصرِّح بسماعه لتلك الفائدة من فلانٍ شيخه، وربما ترك التصريح بالسماع واكتفىٰ بعَزْوِ الفائدة إليه.

ولاشكَّ أن شيخَه المبجَّل شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ قد حظي بالاهتمام الأوحد من هذا النقل في كتابنا هذا كما في (ص/ ٢٤، ٣٧ ـ ٣٨، ٣٣٨، ٤٢٥). وهذه المواطن عند مقابلتها بكتب شيخ الإسلام ابن تيمية تبيَّن أنها من صياغة ابن القيم وتلقيه لها، ومعناها موجود في كتب شيخه ومشهور عنه.

القسم الكتابي المدوَّن:

ونعني به ما نقله ابنُ القيم من كتب الأئمة ومدوَّناتهم[1]، وينقسم إلى ثلاثة أقسام:

القسم الأوَّل: الكتب التي صرَّحَ بأسمائها؛ سواء ذكر أسماء مؤلِّفيها أم لا، وسواء أعاد ذكرها أم اكتفىٰ بذكر اسم المؤلِّف بعد ذلك، وهذه الموارد هي:

---

(١) لم أُدخِل في الإحصاء شعر الشعراء، سواء كان للشاعر ديوان أم لا.

---

(١) لم أدخل في الحصر لفظ «الصحيحين» ومحله في فهرس الكتب، وكذا لم أدخل ما قال فيه: «وفي الصحيح» والحديث فيهما، ومثله: أهل السنن.

١٥ ـ «الموطأ» لمالك ٣٤٠

١٦ ـ «نظم القرآن» للجرجاني ١٧، ٢٠، ١١٩، ٢١٦، ٣٥٢

القسم الثاني: ما صرَّح فيه باسم المؤلِّف دون ذكر اسم الكتاب الذي ينقل منه، وهذا علىٰ نوعين:

الأوَّل: ما عرفناه تحديدًا بعد مطابقة المادة العلمية للكتاب المطبوع للمؤلِّف، وهؤلاء الذين ينقل عنهم هم:

١ ـ الأزهري «تهذيب اللغة» ٣٢٩، ٤١٧

٢ ـ الأصمعي «خلق الإنسان» ٥٧٣

٣ ـ ابن الجوزي «زاد المسير» ٢٩٢

٤ ـ الحاكم «معرفة علوم الحديث» ٣٣٦

٥ ـ الزجَّاج «معاني القرآن» ٢٦، ١٠٤، ١١٦، ١١٨، ١٥٧، ١٧١، ١٧٥، ١٨٦، ٢٠٠، ٢١٣، ٢٢٥، ٢٣٤، ٢٩٦، ٣٣٣، ٣٥٣، ٦٣٩

٦ ـ الزمخشري «الكشاف» ٢٩٢، ٣١٥، ٦٤٩

٧ ـ الشافعي «الأم» ٣٦٦، ٥٣٢

و«إبطال الاستحسان» ٣٦٧

٨ ـ الطبري «جامع البيان» ٢٠

٩ ـ ابن عبدالبر «التمهيد» و«الاستذكار» ٣٣٩

١٠ ـ أبو عبيدة معمر بن المثنّىٰ «مجاز القرآن» ٥٥، ٦٧، ١١٨، ١٨٢، ١٩٨، ٢٠٩، ٣١٩، ٣٢١، ٤١٦، ٤٢٠، ٤٣٤

١١ ـ عثمان بن سعيد الدارمي «نقض عثمان بن سعيد على بشْر المريسي» ١٩٥، ٣٨٣

١٢ ـ أبو علي الفارسي «الحُجَّة للقرّاء السبعة» ١٦٠، ١٩٧، ٣٧٦

١٣ ـ أبو عمرو بن الحاجب «أماليه» ٣١٤

١٤ ـ الفرّاء «معاني القرآن» ٢٠، ٢١، ٢٣، ٨٢، ٨٣، ٩٥، ٩٧، ١٠٥، ١١٤، ١١٨، ١٥٧، ١٧١، ١٧٥، ١٧٦، ١٨٥، ١٩٧، ٢١١، ٢١٣، ٢٩٦، ٣٥٢، ٣٥٨، ٤٠٦، ٤٠٧، ٤٣٥، ٦٣٩

١٥ ـ ابن قتيبة «تأويل مشكل القرآن» ٣٠، ٢٣٤، ٢٧٤، ٢٧٥

و«غريب القرآن» ٤٢٢

١٦ ـ المبرّد «الكامل» ٤٣٤

١٧ ـ مقاتل بن سليمان «تفسيره» ٢٣، ٣٢، ٦٧، ٧٧، ٩٥، ٩٦، ١٠٤، ١١٤، ١١٦، ١٧٧، ١٨٥، ٢١٢، ٢١٣، ٢١٤، ٢٢٦، ٢٦٤، ٢٧٦، ٣٢١،

٣٢٩، ٣٣٣، ٣٥٥، ٣٥٧، ٤٠٠، ٤١٨

١٨ ـ النحَّاس «القطع والائتناف» ١٩

و«معاني القرآن» ٢٠

١٩ ـ الواحدي «الوسيط» ٩٧، ١٨٢، ٢٩٢، ٥٨٤

الثاني: ما لم نعرفه من مصادر المؤلِّف التي ينقل منها ابن القيم، وسببه كونها غير مطبوعة حتىٰ الساعة، فاجتهدنا في محاولة معرفتها على وجه التقريب بناءً على ما ذكر في ترجمة العَلَم من مؤلفاته، وهؤلاء هم:

١ ـ الأخفش الأوسط، لعله من كتابه «إعراب القرآن» ١٨، ١٩، ٢٠٩، ٣٢٠

٢ ـ أرسطو ٥٣٩

٣ ـ الأصمعي، لعله من كتابه «غريب القرآن» ٣٥٩

٤ ـ ابن الأعرابي، لعله من كتابه «النوادر» ٣٥٩، ٤٢٠

٥ ـ جالينوس ٥٠٣، ٥١٠

٦ ـ أبو حاتم السجستاني، لعله من كتابه «إعراب القرآن» ١٨

٧ ـ ابن حزم، لعله من كتابه «الأسماء الحسنىٰ» ٣٦٠

٨ ـ أبو حمزة الثُّمالي، لعله من «تفسيره» ٣٦٢

٩ ـ أبو زيد سعيد بن أوس الأنصاري ٣٥٨، ٤٠٨

١٠ ـ أبو العباس ثعلب أحمد بن يحيىٰ، لعله من كتابه «معاني القرآن» ٣١

١١ ـ عبدالرحمن بن زيد بن أسلم، لعله من «تفسيره» ٤٧

١٢ ـ أبو عبيد القاسم بن سلاَّم، لعله من كتابه «معاني القرآن» ٣٧٦

١٣ ـ أبو عثمان المازني، لعله من كتابه «في القرآن» ٣١٨

١٤ ـ عطية بن الحارث (أبو رَوْق الهمداني الكوفي)، لعله من «تفسيره» ٢١٢

١٥ ـ أبو العلاء الهَمَذاني الحافظ ٣٠٤

١٦ ـ أبو القاسم الزجَّاجي ١٨

١٧ ـ الكسائي، لعله من كتابه «معاني القرآن» ٨٥

١٨ ـ الليث بن المظفَّر[1] ٥٦، ١٧٥، ٣٥٩، ٤٠٦، ٥٧٣

١٩ ـ المبرِّد، لعله من كتابه «معاني القرآن» ٥٥، ١٥٧، ٣٧٤، ٣٧٦، ٤٠٦، ٤٢٠

٢٠ ـ محمد بن أبي جعفر المنذري الخراساني[2] ٥٢

---

(١) هو صاحب الخليل بن أحمد الفراهيدي، وما نقله عنه ابن القيم موجود بنصه في كتاب «العين» للخليل دون الإشارة إلى كونه من كلام الليث بن المظفَّر!

(٢) هو شيخ أبي منصور الأزهري، وكل ما نقله عنه ابن القيم موجود في «تهذيب اللغة» للأزهري.

٢١ ـ المهدوي أحمد بن عمَّار، لعله من كتابه

«التفصيل الجامع لعلوم التنزيل» ٢٩١

٢٢ ـ الواحدي، لعله من «البسيط» ١٩، ١٠٦، ١٨٧، ٢١١، ٢١٧

٢٣ ـ يونس بن حبيب الضَّبِّي، لعله من كتابه «معاني القرآن» ٤١٦

القسم الثالث: مالم يصرِّح باسم المصدر ولا مؤلِّفه وعرفناه بتطابق المادة العلمية في الموارد الأخرىٰ، وهذه الموارد هي:

١) «الوسيط» للواحدي، نقل منه مواطن في (ص/ ٣٢، ٣٣، ٢٧٥).

٢) «زاد المسير» لابن الجوزي، نقل منه موضعًا في (ص/ ١٦٠).

٣) «المحرَّر الوجيز» لابن عطية، نقل منه موضعًا في (ص/ ٢٣١).

٤) «البحر المحيط» لأبي حيَّان الأندلسي، نقل منه موضعين في (ص/ ٣١٥، ٤٤٣).

أهمية الكتاب وأثره فيمن بعده:

كتاب «التبيان» جمع عدَّة صفاتٍ جعلت له الريادة في بابه، فمنها:

١ ـ تفرُّد الكتاب بأقسام القرآن تحليلاً وتفسيرًا.

٢ ـ شمول الكتاب واستيعابه لموضوعه.

٣ ـ قوَّة مادته العلمية وثراؤها.

٤ ـ جلالة مؤلِّفه وشهرته بين العلماء، فهو مِلْءُ السمع والبصر.

ولأجل ذلك احتفىٰ به العلماء والأئمة، واستفادوا منه بما يناسب حاجتهم، وتناولوه ـ من عصر المؤلِّف إلى يومنا هذا ـ بطرقٍ شتىٰ؛ فمن ذلك:

* أنَّ منهم من اختصره وهذَّبه كما فعل شمس الدين محمد بن علي بن محمد بن طولون الدمشقي الحنفي الصالحي (٩٥٣هـ)، حيث اختصر الكتاب مع الحفاظ على ألفاظ المؤلِّف وعباراته، وحذف استطراداته، وسمَّاه: «خلاصة التبيان في أيمان القرآن».

وأيضًا قام العلامة أحمد بن محمد القسطلاني (٩٢٣هـ) بتلخيص ما يتعلق برسالة الرسول ﷺ ونبوّته من الأقسام القرآنية في النوع الخامس من كتابه «المواهب اللَّدُنية» (٣/ ١٨٧ ـ ٢١٦)، حيث قال: «وهذا النوع ـ أعزَّك الله ـ لخَّصتُ أكثره من كتاب «أقسام القرآن» للعلامة ابن القيم، مع زيادات من فرائد الفوائد».

* ومنهم من اقتبس منه مواضع، ونقل مقاطع متفرقة؛ رصَّع كتابه بها إفادةً وإشادةً، كما فعل ذلك:

١ ـ الحافظ ابن حجر في «الفتح» (١١/ ٤٩٠) وموطن النقل في (ص/ ٥٠٥ ـ ٥٠٧).

٢ ـ ابن أبي العزِّ الحنفي في «شرح العقيدة الطحاوية» (٢/ ٣٤٤ ـ ٣٤٦) وموطن النقل في (ص/ ٣٠٣ ـ ٣٠٦).

٣ ـ السيوطي في «الإتقان» (٢/ ١٠٥١)، وفي «معترك الأقران» (١/ ٤٥٣ ـ ٤٥٥) بنفس ما في «الإتقان»، وموطن النقل في (ص/ ٥ ـ ٦، ٧، ٨ ـ ١٠ باختصار وحذف، ١٤ ـ ١٥، ٤٠، ١١٠).

٤ ـ جمال الدين القاسمي في «محاسن التأويل» (٤/ ٤٩٣ ـ ٤٩٤) وموطن النقل في (ص/ ٦٤٩ ـ ٦٥١).

* ومنهم من ناقشه في بعض قضايا القَسَم كما فعل العلامة عبدالحميد الفراهي (١٣٤٩هـ) في كتابه «إمعان في أقسام القرآن».

* ومنهم من انتقده واعترض عليه في بعض المسائل الفرعية كما نقله العلامة محمد بن عبدالباقي الزرقاني (١١٢٢هـ) عن بعضهم في «شرح المواهب» (٦/ ٢١٣) وموطن النقل في (ص/ ١١١ ـ ١١٢).

* ومنهم ـ وهم غالب المتأخرين والمعاصرين ـ من تناوله بالتحليل والدراسة، وبيان منهجه وأسلوبه وتوضيح طريقته، ونحو ذلك ممَّا هو منثور في المقالات والدراسات القرآنية.

طبعات الكتاب:

لشهرة الكتاب ومؤلِّفه، وعظيم نفعه، وغزارة فوائده، وجليل عوائده، وأهمية موضوعه = اعتنىٰ به الطابعون من قديمٍ، حيث ظهرت طبعته الأولىٰ قبل أكثر من قرن، ثُمَّ تتابعت طبعاته خاصة في الوقت القريب، وهاك ما وقفت عليه:

١ ـ المطبعة الميرية بمكة المكرمة، سنة (١٣٢١هـ)، في (١٥٧) صفحة من القطع الكبير، قام بتصحيحها: عبدالحميد الفردوسي المكي الأفغاني.

٢ ـ مطبعة محمد أفندي حجازي ـ مصر، بتصحيح: محمد حامد الفقي، سنة (١٣٥٢هـ ـ ١٩٣٣م).

٣ ـ دار الطباعة المحمدية بالأزهر، بتصحيح فضيلة الشيخ: طه يوسف شاهين من علماء الأزهر، سنة (١٣٨٨هـ)، ثم صورت في دار الكتب العلمية.

٤ ـ المؤسسة السعيدية بالرياض، حققه وضبطه ونسقه وصححه وعلق عليه: محمد زهري النجار، سنة (١٩٧٩م)، في مجلدين.

٥ ـ دار إحياء العلوم ـ بيروت، قدم له وحققه وعلق عليه: محمد شريف سُكَّر، سنة (١٤٠٩هـ ـ ١٩٨٨م).

٦ ـ مؤسسة الرسالة ـ بيروت، حققه وضبط نصه وفهرسه: عصام فارس الحرستاني، وخرج أحاديثه: محمد إبراهيم الزغلي، سنة (١٤١٤هـ ـ ١٩٩٤م).

٧ ـ دار الكتاب العربي ـ بيروت، علق عليه وصححه: فواز أحمد زمرلي، سنة (١٤١٥هـ ـ ١٩٩٤م).

٨ ـ دار الإيمان للطباعة والنشر والتوزيع ـ الإسكندرية، حققه وخرج أحاديثه: أبو عبدالرحمن عادل بن أحمد حامد محمد، سنة (٢٠٠٢م).

٩ ـ المكتبة العصرية ـ صيدا، اعتنىٰ به وراجعه: محمد حسين عرب، سنة (١٤٢٤هـ ـ ٢٠٠٣م).

١٠ ـ بيت الأفكار الدولية ـ لبنان، اعتنىٰ به: أبو صهيب الكرمي، سنة (٢٠٠٤م).

---

* وقد حقق الكتاب في رسالة ماجستير بجامعة أُمِّ القُرى بكلية الشريعة والدراسات الإسلامية سنة ١٤٢٢هـ، في مجلدين، بعنوان: «التبيان في أيمان القرآن»، دراسة وتحقيق: حمزة بن محمد بن علي عسيري؛ وفقه الله.

نسخ الكتاب الخطية:

يسَّر الله ـ عزَّ وجلَّ ـ الوقوفَ علىٰ ستٍّ نسخٍ من الكتاب، وبيانها كالتالي:

١) النسخة (ز):

وهي أقدم النسخ الكاملة، محفوظة في المكتبة الأزهرية ضمن مجموع يحمل رقم [١٨٢ مجاميع] ٤٤٨٥، كتبت سنة (٧٦٦هـ) بخط معتاد قديم قليل النقط، في بعض أوراقها آثار بلل، وعدد أوراق المجموع (١٧٦) ورقة[١]، يبدأ «كتاب التبيان» من ١ ـ ١٥٤، والناسخ هو: أحمد بن عيسىٰ بن أبي القاسم المقدسي الحنبلي، الشهير بالدمشقي، وجاء في أثناء المخطوط في بعض أوراقه بالخط العريض عبارة: «وقف بخزانة الدمنهوري بالأزهر».

٢) النسخة (ك):

وهي نسخة عتيقة محفوظة في المكتبة الأزهرية[٢] كتبت في نهار الاثنين السابع عشر من شوال سنة (٧٩٨هـ) كما جاء في آخرها، وخطها معتاد قديم جيد، ولم يذكر فيها اسم الناسخ، وقد سقط منها ورقة العنوان وقطعة من الربع الأول للكتاب وهو ما يقابل في المطبوع

---

(١) انظر «فهرس المكتبة الأزهرية» (١/ ١٤٥)، وترقيم المخطوط وقع بقلم حديث.

(٢) حصلنا على هذه النسخة عن طريق الشيخ: فيصل بن يوسف العلي جزاه الله خيرًا. وقد كان يبحث عن كتاب آخر طلبه منه الشيخ علي العمران، فوقف على هذه النسخة اتفاقًا من غير بحث، فالحمد لله على توفيقه.

(ص/ ١٣٦ ـ ١٩٣)، وعددها (١٣٠) ورقة بترقيمي، وسبب ذلك أنَّ أوراق المخطوط تبعثرت فجاء جامعها وضمَّ بعضها إلى بعض اعتباطًا دون أن يرتب أوراق الكتاب! ثُمَّ رقَّمها ترقيمًا حديثًا متسلسلاً، فسقطت منه خمس صفحات تقريبًا من أماكن متفرقة في وسط الكتاب، فقمت بإعادة ترتيبها من جديد ثُمَّ رقمتها آخذًا في الاعتبار ما سقط من الصفحات، والله المستعان.

٣) النسخة (ح):

وهي نسخة المكتبة المحمودية برقم (٨٨)، كتبت بخط معتاد واضح، ومشكولة في كثير من كلماتها، ولم يذكر اسم الناسخ ولا تاريخ النسخ، لكن نقدر نسخها تقريبًا في أواخر القرن الثامن أو أوائل القرن التاسع لشبْهه بخطوط أهل تلك الفترة، وقد حذف منها مقدمة المؤلِّف، ولا أدري ما سبب ذلك؟ وفي صفحة العنوان عدَّة تملكات ووقفيات.

٤) النسخة (ن):

وهي نسخة جامعة برنستون ـ مجموعة جاريت (يهودا) رقم [(٤٥٧٩) ١١٦]، وعنها صورة في مكتبة الملك فهد الوطنية بالرياض، وعدد أوراقها (٩٤) ورقة، بها سقط كبير في الثلث الأخير من الكتاب، ولم يذكر اسم الناسخ ولا تاريخ النسخ، إلا أنَّنا نقدر نسخها في أواخر القرن الثامن أو أوائل القرن التاسع لشبه الخط بخطوط أهل تلك الفترة، وخطها قديم واضح، إلا أن الأوراق الأخيرة منها كتبت بخط مغاير.

٥) النسخة (ط):

وهي نسخة المكتبة البريطانية ـ قسم المجموعات الشرقية رقم

(OR٩٠٦٢)، عدد أوراقها (١٦٦) ورقة، كتبت صبيحة نهار الثلاثاء الواقع ثاني شهر رجب المحرم سنة (١٣١١هـ) كما جاء في آخرها، بخط النسخ، والناسخ هو: محمد بن الشيخ عبدالقادر المجذوب.

وهي نسخة كثيرة التصحيف والبياض، أمَّا التصحيف فعيبه راجع إلى قلم الناسخ بلا شك، وأمَّا كثرة البياض في النسخة فقد جاء في آخر ورقة من المخطوط ما يبرره حيث كتبت هذه العبارة: «استنسخه: طاهر بن صالح الجزائري من نسخة مُحِيَت بعض سطورها لطول العهد، ولم توجدنسخة أخرىٰ لتكميل النقص».

وفي ورقة مستقلة تسبق ورقة العنوان جاءت عبارة وقفية للكتاب، ونصها:

«بسم الله الرحمن الرحيم؛ يُعلم به من يراه بأنَّ هذا الكتاب وهو «أقسام القرآن» وما يليه من النسخ وهي «الأمثال» و«السياسة» و«الحسبة»؛ قد وقَفَهنَّ الرجل المكلَّف الأمثل الرشيد: سالم بن حمود آل عبيد ابن رشيد لوجه الله تعالىٰ، وجعل النظر فيه ليعقوب بن محمد مدَّة حياته، ثُمَّ بعده على طلبة العلم من المسلمين، أشهدَ على ذلك أخيه ماجد، وسليمان بن ليلىٰ، سنة (١٣٠٧هـ)».

٦ ـ النسخة (م):

وهي نسخة محفوظة في مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية بالرياض برقم (٢٨٢٠ـ٥ـف) ضمن مجموع مُهدىً إلى المركز، وعدد أوراقه (١٧٠) ورقة، كتبت في نهار التاسع من ذي القعدة سنة (١٣٤٦هـ) كماجاء في آخرها، بخط النسخ المضبوط أحيانًا،

والناسخ هو: عبدالعزيز بن حمد بن عيبان.

وقد سقط من أولها مقدمة المؤلف للكتاب، وثَمَّ أماكن بها سقط يسير خاصة في أول النسخة، وفي هامشها تصحيحات وتصويبات بقلم الناسخ، وقد ظهر لي بالمقابلَة أنَّها منسوخة عن النسخة (ح).

ولا يفوتنا هنا أن نتقدم بالشكر لكلٍّ من مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، ومكتبة الملك فهد الوطنية ـ خاصة قسم المخطوطات فيهما ـ على تفضلهم بتصوير بعض النسخ الخطية التي اعتمدنا عليها، فلهم يد سابغة على العلم وأهله.

ومن الجدير بالذكر أن للكتاب نسخًا أخرىٰ ذكرها أصحاب الفهارس[1]، لكن ظهر لنا أن في بعضها أوهامًا، وبعضها الآخر متأخر يغني عنه ما ذكرناه، وبعضها طلبناه من محله فلم نعثر عليه! فاكتفينا بهذه النسخ السِّت وحصل الغَنَاء بها، ولله الحمد والمنة.

---

(١) انظر «الفهرس الشامل للتراث» الصادر عن مؤسسة آل البيت (١/ ٤٠٩) علوم القرآن، و«معجم مصنفات القرآن الكريم» لعلي شواخ إسحاق (٣/ ١٩٢)، و«ثبت مؤلفات ابن القيم» ـ لم يطبع بعد ـ لمحمد عزير شمس.

عملي في التحقيق:

قمتُ في تحقيقي للكتاب بالخطوات التالية:

ـ قارنتُ بين النسخ الخطية الستة، لكني جعلتُ النسخ (ز) و(ك) و(ح) و(ن) كالأصول في المقارنة، وأمَّا النسختان (م) و(ط) فمن باب النسخ المساندة، وهي تبعٌ للنسخ الأخرىٰ.

ـ سرتُ على طريقة النص المختار، فما غلب على ظنِّي أنه الصواب قدمته.

ـ لم ألتفت إلى الفوارق غير المؤثِّرة، ولا إلى الأخطاء الإملائية أو النحوية.

ـ إذا كانت الكلمة مصحَّفة أو محرَّفة فإني أُثبتُ الصواب من كتب اللغة وأُنبِّه على التصحيف والتحريف، فإذا احتاج النصُّ إلى إضافة لتقويمه أضفتُه وجعلتُه بين معكوفين [].

ـ وكذا إذا كان في بعض النسخ إتمام للآية وبعضها يرمز إلى آخرها فإني قد أتمها وقد أترك ذلك بما يناسب المقام دون الإشارة إليه، وكذا ألفاظ التقديس والتعظيم كـ(تعالىٰ، وسبحانه، وعزَّ وجلَّ)، أو ألفاظ التكريم والتبجيل كالترضِّي والترحُّم والإمامة، وكذا كتابة (فصلٌ) أثناء الكتاب فإني أثبته دون الإشارة إليه لكثرته؛ وخاصة أن بعض النسخ قد تركت محله بياضًا أو لم يظهر في التصوير.

ـ خرَّجتُ الأحاديث والآثار؛ فإن كان الحديث في الصحيحين أو أحدهما اكتفيتُ بالعزو إليهما، وإن كان في غيرهما خرَّجته من كتب السنَّة وبيَّنتُ درجته بحسب المنقول عن أئمة هذا الشأن.

ـ عزوتُ الأقوال إلى أصحابها بقدر جهدي، ثم وثّقتُ هذه النصوص من مصادرها.

ـ ترجمتُ لبعض الأعلام ممن رأيتُ أنَّ القاريء يحتاج إلى الكشف عنه، ولهذا لم أترجم للصحابة لشهرتهم، ولا للمعروفين من الأعلام.

ـ بيَّنتُ غريب اللغة وكشفتُ عن معانيها.

ـ وعزوتُ الشعر إلى دواوين شعرائه أو إلى من ينقل عنه إن لم يكن له ديوان.

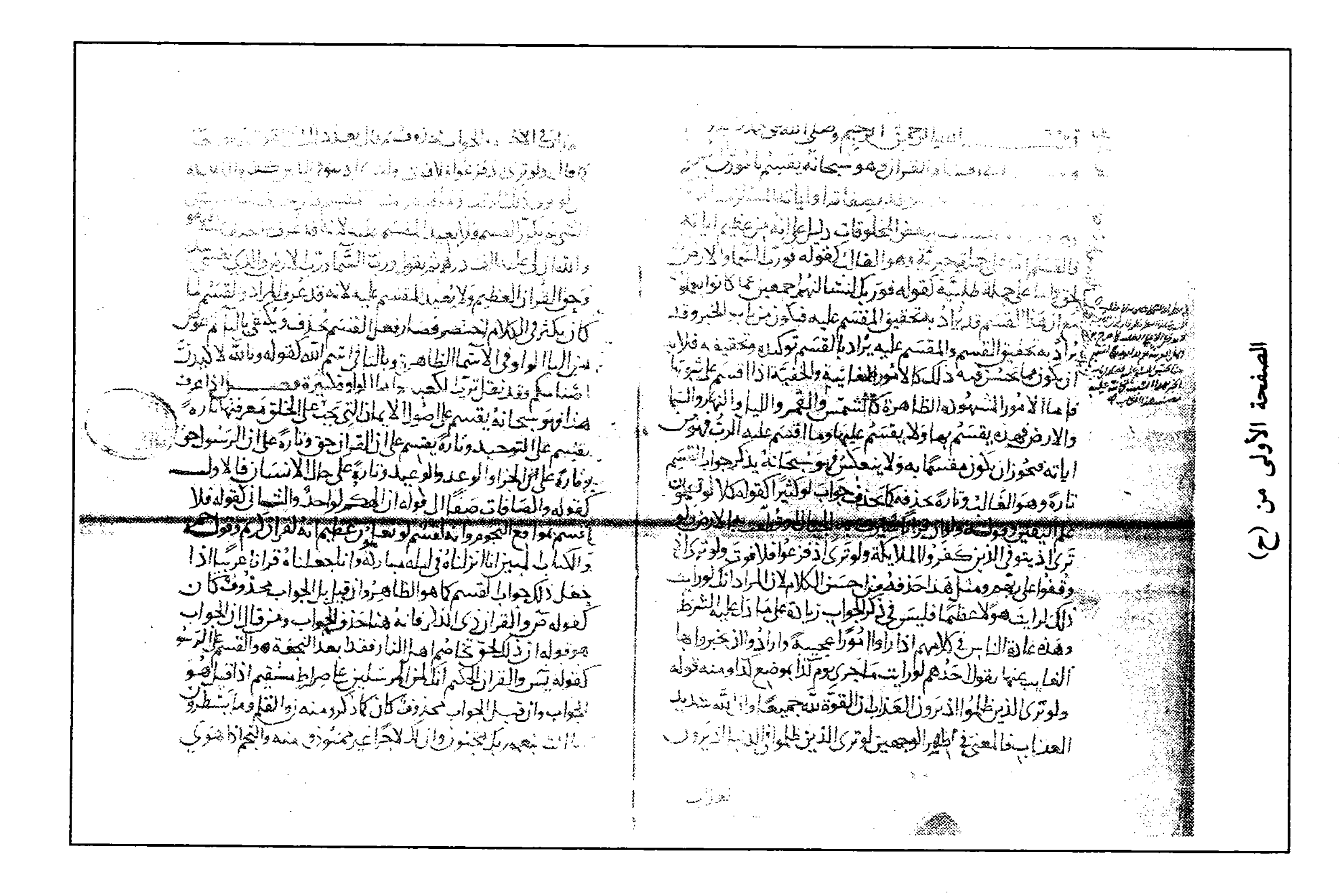
ـ علَّقتُ على ما أراهُ يحتاج إلى تعليق أو استدراك أو تنبيه.

ـ راعيتُ في ذلك كله قواعد الإملاء، وعلامات الترقيم، مع تفقير الجُمَل والعبارات.

ـ كتبتُ مقدِّمةً للتحقيق بينتُ فيها منزلة القَسَم عند العرب، وأنواع أقسام القرآن الكريم، وما في ذلك من مصنفات، مع أشتاتٍ من النكت والفوائد المتعلِّقة بالقَسَم، ثم تكلمت عن الكتاب في مباحث متعددة.

ـ وأخيرًا ختمتُ التحقيق بفهارس لفظية وعلمية تفتح للقارىء فوائد الكتاب وتقرِّب شوارده.

اللهم صلِّ وسلِّم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



[illegible] الرحمن الرحيم وصلى الله على [illegible]
[illegible] القرآن وهو سبحانه يقسم بأمور [illegible]
[illegible] بآياته المستلزمة [illegible]
[illegible] المخلوقات دليل على أنه من عظيم آياته
فالقسم إما على جملة خبرية وهو الغالب كقوله فورب السماء والأرض
إنه لحق وإما على جملة طلبية كقوله فوربك لنسألنهم أجمعين عما كانوا يعملون
مع أن هذا القسم قد يراد به تحقيق المقسم عليه فيكون من باب الخبر وقد
يراد به تحقيق القسم والمقسم عليه يراد بالقسم توكيده وتحقيقه فلا بد
أن يكون مما يحسن فيه ذلك كالأمور الغائبة والخفية إذا أقسم على ثبوتها
فأما الأمور المشهودة الظاهرة كالشمس والقمر والليل والنهار والسماء
والأرض فهذه يقسم بها ولا يقسم عليها وما أقسم عليه الرب فهو من
آياته فيجوز أن يكون مقسما به ولا ينعكس وهو سبحانه يذكر جواب القسم
تارة وهو الغالب وتارة يحذفه كما يحذف جواب لو كثيرا كقوله كلا لو تعلمون
علم اليقين وقوله ولو أن قرآنا سيرت به الجبال أو قطعت به الأرض
ترى إذ يتوفى الذين كفروا الملائكة ولو ترى إذ فزعوا فلا فوت ولو ترى إذ
وقفوا على ربهم ومثل هذا حذفه من أحسن الكلام لأن المراد أنك لو رأيت
ذلك لرأيت هولا عظيما فليس في ذكر الجواب زيادة على ما دل عليه الشرط
وهذه عادة الناس في كلامهم إذا رأوا أمورا عجيبة وأرادوا أن يخبروا بها
الغائب عنها يقول أحدهم لو رأيت ما جرى يوم كذا بموضع كذا ومنه قوله
ولو يرى الذين ظلموا إذ يرون العذاب أن القوة لله جميعا وأن الله شديد
العذاب فالمعنى في أظهر الوجهين لو يرى الذين ظلموا في الدنيا إذ يرون

[illegible]
وحق القرآن العظيم ولا يعين المقسم عليه لأنه قد عرف المراد والقسم لما
كان يكثر في الكلام اختصر فصار فعل القسم يحذف ويكتفى بالباء ثم عوض
من الباء الواو في الأسماء الظاهرة والتاء في اسم الله كقوله وتالله لأكيدن
أصنامكم [illegible] إذا عرف
هذا فهو سبحانه يقسم على أصول الإيمان التي يجب على الخلق معرفتها تارة
يقسم على التوحيد وتارة يقسم على أن القرآن حق وتارة على أن الرسول حق
وتارة على الجزاء والوعد والوعيد وتارة على حال الإنسان فالأول
كقوله والصافات صفا إلى قوله إن إلهكم لواحد والثاني كقوله فلا
أقسم بمواقع النجوم وإنه لقسم لو تعلمون عظيم إنه لقرآن كريم وقوله حم
والكتاب المبين إنا أنزلناه في ليلة مباركة وإنا جعلناه قرآنا عربيا إذا
جعل ذلك جواب القسم كما هو الظاهر وإن قيل إن الجواب محذوف كان
كقوله ص والقرآن ذي الذكر فإنه قد حذف الجواب ومن قال إن الجواب
هو قوله إن ذلك لحق تخاصم أهل النار فقد بعد النجعة والقسم على الرسول
كقوله يس والقرآن الحكيم إنك لمن المرسلين على صراط مستقيم إذا قيل هو
الجواب وإن قيل الجواب محذوف كان كالمذكور منه ن والقلم وما يسطرون
ما أنت بنعمة ربك بمجنون وإن لك لأجرا غير ممنون [illegible] منه والنجم إذا هوى

الصفحة الأولى من (ح)

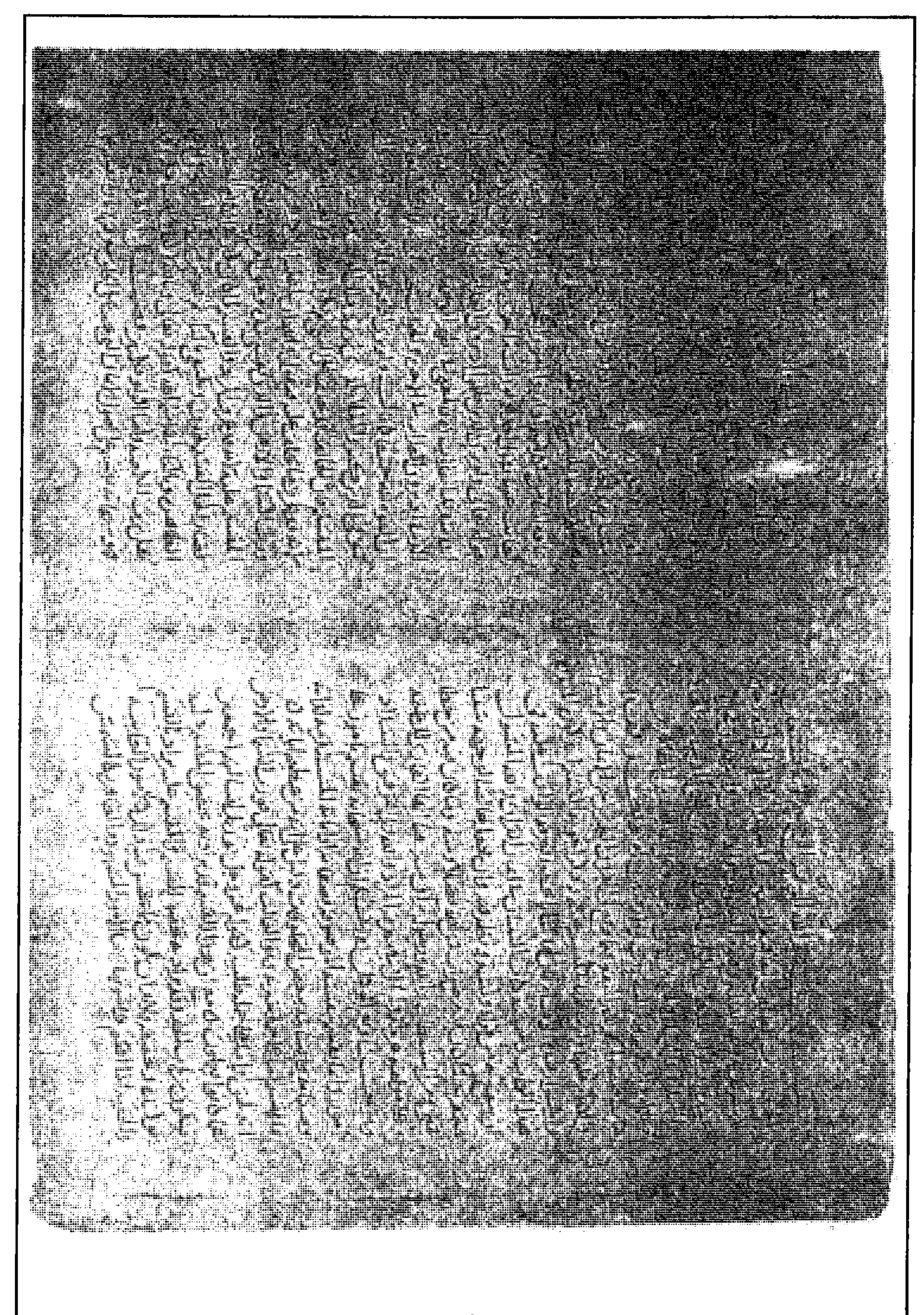
الصفحة الأخيرة من (ح)

الصفحة الأولى من (ن)

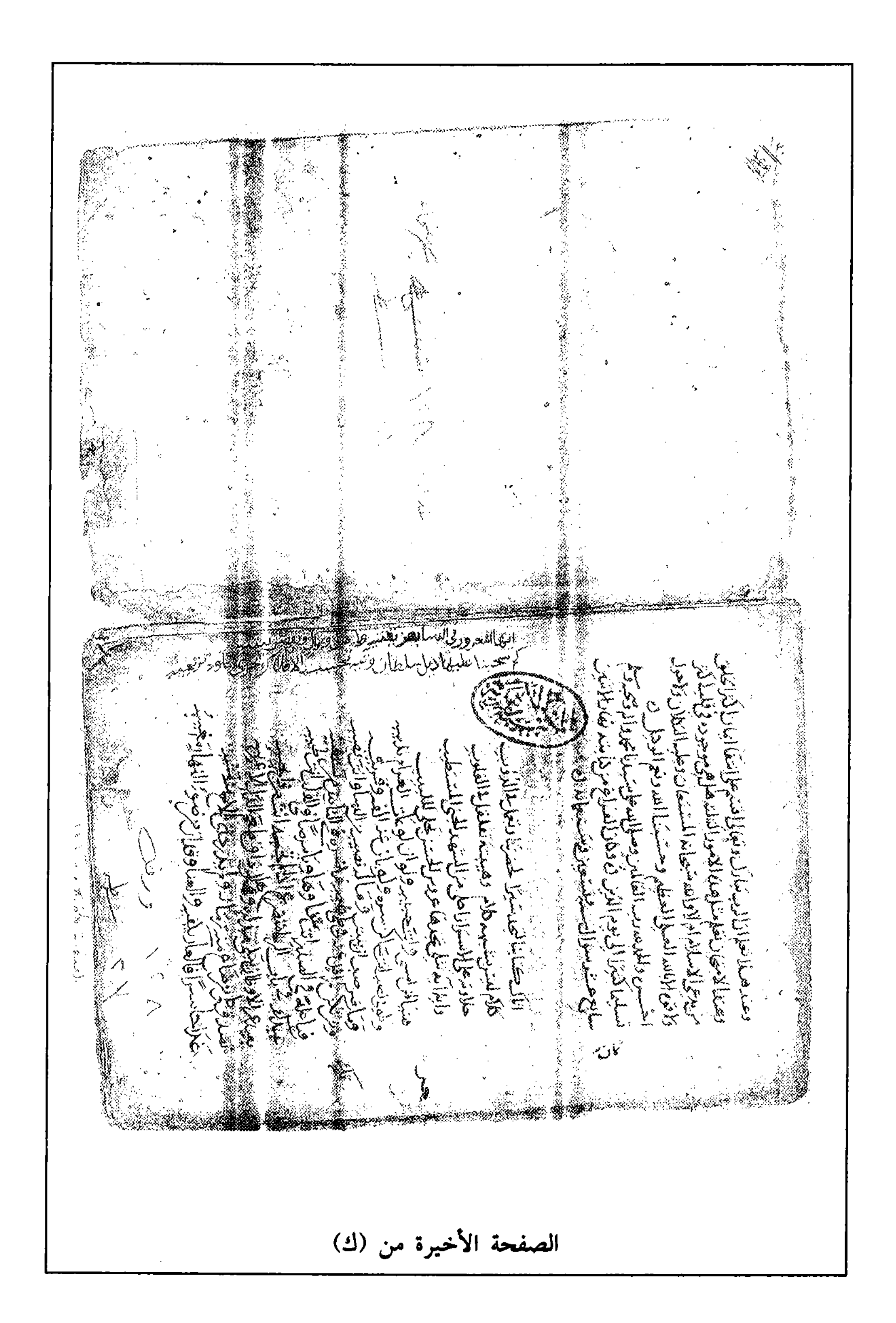
حتى يحكموك فيما شجر بينهم من الاصول والفروع
واحكام الشرع واحكام المعاد ومسايل الصفات وغيرها
ولم يثبت لهم الايمان بمجرد هذا التحكيم حتى ينتفي عنهم
الحرج وهو ضيق الصدر وتنشرح صدورهم
لحكمه كل الانشراح وتنفسح له كل الانفساح
وتقبله كل القبول ولم يثبت لهم الايمان بذلك
ايضا حتى ينضاف اليه مقابلة حكمه بالرضا
والتسليم وعدم المنازعة وانتفا المعارضة والاعتراض
[illegible] سبحانه امور التحكيم وانتفا [illegible]
والتسليم فلا يلزم من التحكيم [illegible]
قد يحكم الرجل غيره وعنده حرج من حكمه [illegible]
من انتفا الحرج الرضا والتسليم والانقياد
[illegible] وينتفي الحرج عنه [illegible]
لا ينقاد قلبه ولا يرضى كل الرضا بحكمه والتسليم
اخص

اخص من انتفا الحرج فالحرج مانع والتسليم امر
وجودي لا يلزم من انتفا الحرج حصوله بمجرد
انتفايه اذ قد ينتفي الحرج ويبقى القلب فارغا
منه ومن الرضا والتسليم فتامله وعند هذا
نعلم ان الرب تبارك وتعالى اقسم على انتفا ايمان
اكثر الخلق وعند الامتحان نعلم هل هذه الامور
الثلثة هل هي موجودة في قلب اكثر من يدعي الاسلام
ام لا والله سبحانه [illegible]
ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم وحسبنا
الله ونعم الوكيل [illegible]
والحمد لله وحده وصلى الله على [illegible] وسلم

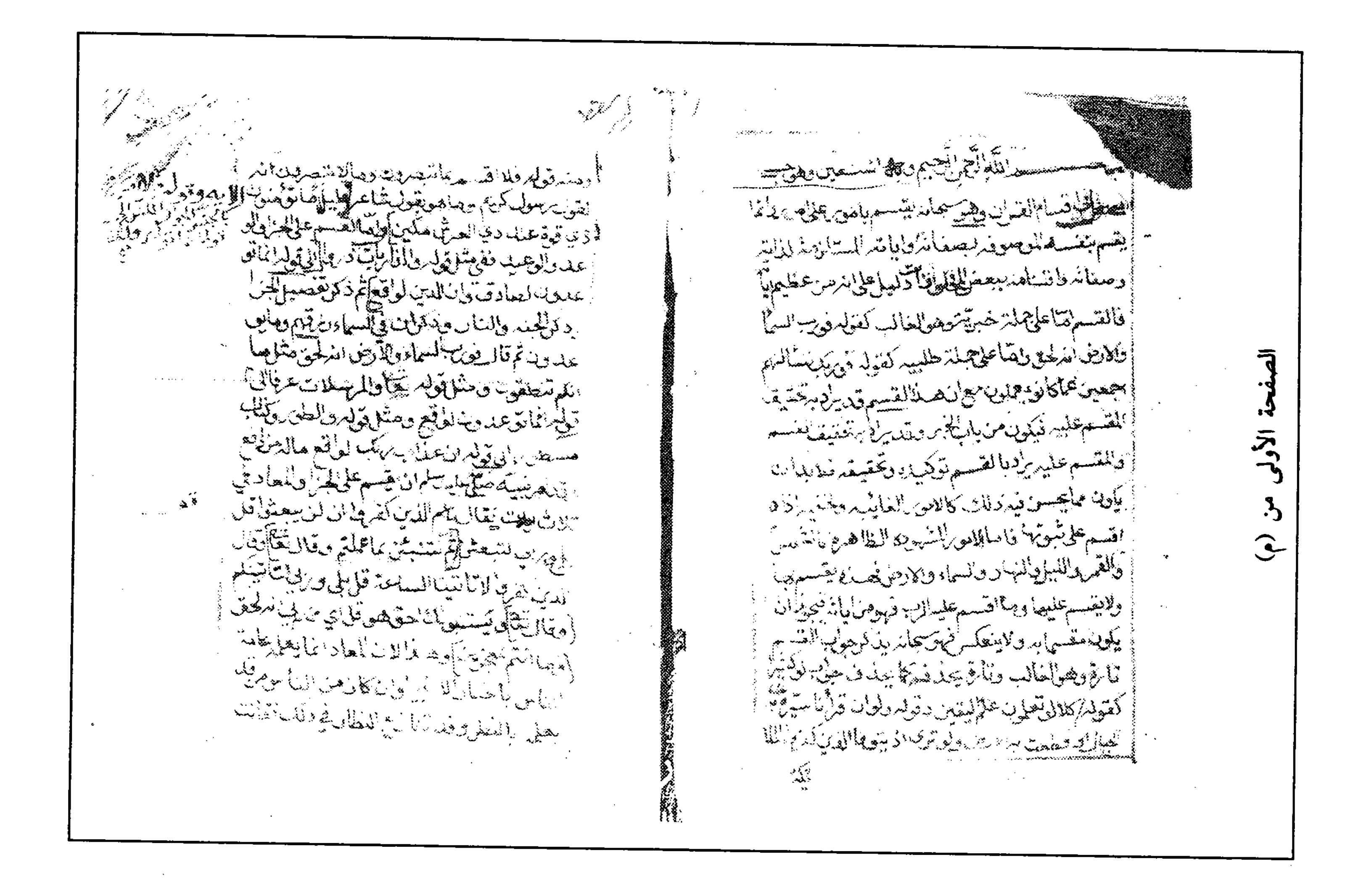
الصفحة الأخيرة من (ن)



الصفحة الأولى من (ك)



الصفحة الأخيرة من (ك)



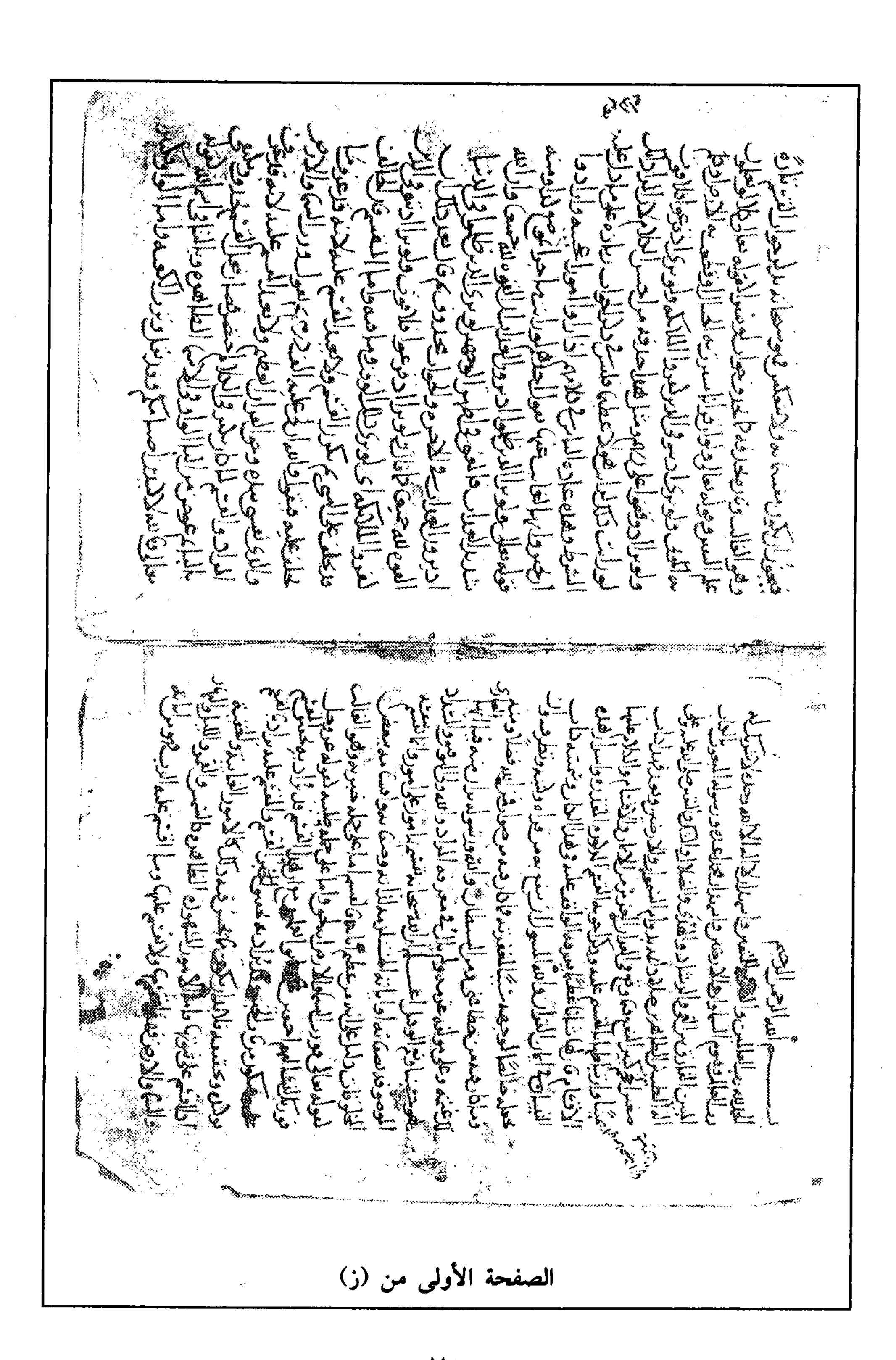
بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين وهو حسبي

فصل في أقسام القرآن وهو سبحانه يقسم بأمور على أمور وإنما
يقسم بنفسه الموصوفة بصفاته وآياته المستلزمة لذاته
وصفاته وإقسامه ببعض المخلوقات دليل على أنه من عظيم آياته
فالقسم إما على جملة خبرية وهو الغالب كقوله فورب السماء
والأرض إنه لحق وإما على جملة طلبية كقوله فوربك لنسألنهم
أجمعين عما كانوا يعملون مع أن هذا القسم قد يراد به تحقيق
المقسم عليه فيكون من باب الخبر وقد يراد به تحقيق القسم
والمقسم عليه يراد بالقسم توكيده وتحقيقه فلا بد أن
يكون مما يحسن فيه ذلك كالأمور الغائبة والخفية إذا
أقسم على ثبوتها فأما الأمور المشهودة الظاهرة كالشمس
والقمر والليل والنهار والسماء والأرض فهذه يقسم بها
ولا يقسم عليها وما أقسم عليه الرب فهو من آياته فيجوز أن
يكون مقسما به ولا ينعكس وهو سبحانه يذكر جواب القسم
تارة وهو الغالب وتارة يحذفه كما يحذف جواب لو كثيرا
كقوله كلا لو تعلمون علم اليقين وقوله ولو أن قرآنا سيرت به
الجبال أو قطعت به الأرض ولو ترى إذ [illegible]

أو من قوله فلا أقسم بما تبصرون وما لا تبصرون إنه
لقول رسول كريم وما هو بقول شاعر قليلا ما تؤمنون [illegible]
ذي قوة عند ذي العرش مكين وإنما القسم على الجزاء
والوعد والوعيد ففي مثل قوله والذاريات ذروا إلى قوله إنما تو
عدون لصادق وإن الدين لواقع ثم ذكر تفصيل الجزاء
وذكر الجنة والنار [illegible] في السماء [illegible]
[illegible] ثم قال فورب السماء والأرض إنه لحق مثل ما
أنكم تنطقون ومثل قوله تعالى والمرسلات عرفا إلى
قوله إنما توعدون لواقع ومثل قوله والطور وكتاب
مسطور إلى قوله إن عذاب ربك لواقع ما له من دافع
[illegible] على الجزاء والمعاد في
ثلاث آيات [illegible] الذين كفروا أن لن يبعثوا قل
بلى وربي لتبعثن ثم لتنبؤن بما عملتم وقال تعالى وقال
الذين كفروا لا تأتينا الساعة قل بلى وربي لتأتينكم
وقال تعالى ويستنبئونك أحق هو قل إي وربي إنه لحق
[illegible]
[illegible]
[illegible]

الصفحة الأولى من (م)

الصفحة الأخيرة من (م)



الصفحة الأولى من (ز)

الصفحة الأخيرة من (ز)

الصفحة الأولى من (ط)

الصفحة الأخيرة من (ط)

فهرس